

**نزاريات...
أيقونة الحب... والوطن**

عنوان الكتاب : نزاريات... أيقونة الحب... والوطن

اختيار وتقديم: فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/118 / نيسان

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة

محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu.sy>

نزاريات... أيقونة الحب... والوطن

اختيار وتقديم: فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (118)

حصان الشعري صديقي ، والفارس الحقيقي لا يخون

صداقة الخيل

إنني أفهم أفكار حصان جيداً ... أنشم جبهته

أمسح عرقه ، أحكي معه طوال الطريق ، وأملأ

فمه لوزاً وزيبياً ...

نزار قباني

نزاريات أيقونة الحب... والوطن

وقف منذ بداياته ضد شعر "يراد من نظمه إقامة ملجأ،
أو بناء ثكنة، أو حصر قواعد اللغة العربية، أو تاريخ ميلاد
حيّ، أو تعداد مآثر الميت على رخامة قبره... وتحدى التقاليد
الاجتماعية والسياسية والشعرية"...

هو شاعر حقيقي، لا يعكّر مزاجه إلا الواقع العربي
السيء، ويحلم بالمدينة الشاعرة لتنهض إلى جانب مدينة
الفارابي الفاضلة، وحينئذٍ يكتشف الإنسان نفسه، ويعرف
الله..

ومن تراه يكون غير نزار قباني... العالم الشعري
برُمته، والمتوج على قمة الكلمات، وعوالم الأحاسيس،

ويحور الأحلام الطافية فوق زبرجد مرمرى، يغتسل بمطر
السحر، ويسبح في مسكنات الشفاف وزمجرات الروح نحو
الإطلاق، والانعقاد...

كيف لا يكون النزار وهو الذي يقول:

"يوم ولدت في /21/ آذار مارس 1923، في
بيت من بيوت دمشق القديمة، كانت الأرض هي
الأخرى في حالة ولادة، وكان الربيع يستعدُّ لفتح
حقائبه الخضراء. الأرض وأمي حملتا في وقت واحد
ووضعتا في وقت واحد..."

كل الذي أعرفه أنني يوم ولدت، كانت
الطبيعة تنفذ انقلابها على الشتاء، وتطلب من
الحقول والحشائش والأزهار والعصافير أن تؤيدها
في انقلابها على روتين الأرض".

في ذلك البيت الدمشقي العريق الرابض في مئذنة
الشحم بحى القيمرية الغارق في أصالة المنبت، وعراقية
الأصل، رأى شاعرنا الاستثنائي النور لأول مرة، وكان الابن
الثاني لتوفيق القباني بين أخوته:

المعتز، ورشيد، وصباح، وهيفاء، ووصال. يقول واصفاً
دارهم الدمشقية:

"هل تعرفون معنى أن يسكن الإنسان في
قارورة عطر؟! بيتنا كان تلك القارورة؟ والذين
سكنوا دمشق، وتغلغلوا في حاراتها وزواربها
الضيقة، يعرفون كيف تفتح لهم الجنة ذراعها من
حيث لا ينتظرون..."

بوابة صغيرة من الخشب تفتح، ويبدأ الإسراء
على الأخضر، والأحمر والليلكي، وتبدأ سمفونية
الضوء والظل والرُخام".

كان يحب الرسم ولم يتعد الخامسة، ليدفعه ذلك إلى
الإبحار في أمواج الأصباغ والألوان، فيطلق الحرية لموهبته،
ويرسم على الجدران، وعلى الأرض، وعلى الهواء، ويُطخَّ
كلَّ ما تقعُ عليه يده بحثاً عن أشكال جديدة...

حتى إذا ما ذهب عنه حمى الألوان والرسم، أصابته
حمى الموسيقى، التي مشى في دربها فترة وجيزة، حيث لم
تسعه مشكلات الدراسة الثانوية بمتابعة هوايته هذه، التي

كان لها الفضل الأكبر - فيما بعد - في تكوين ملكة انتقاء الحروف الأكثر غنى، ورنيناً فيما أبدعه من الشعر. نال نزار قباني (آقبيق) شهادة البكالوريا في الكلية العلمية الوطنية في دمشق، وتخرّج في العام /1945/ من كلية الحقوق بالجامعة السورية، وقد عمل بعد تخرجه دبلوماسياً في وزارة الخارجية السورية ليصبح سفيراً في مدن عدة/ القاهرة - مدريد - لندن - بيروت/ حيث أسس في لبنان دار نشر خاصة تحمل اسم /منشورات نزار قباني بعد أن قدّم استقالته في العام /1966/ وانتقل للاستقرار - نهائياً - في بيروت... كان يتقن لغات عدة: الإنكليزية، والإسبانية وغيرهما.

لقد توضح مصير نزار الشعري ولما يبلغ سن السادسة عشرة من عمره، إذ كتب أول قصيدة في /الحنين إلى الوطن/ أثناء إبحاره في رحلة مدرسية إلى /إيطاليا/ وتمّت إذاعتها من راديو/ روما/ ليقوم بعدها بإصدار أول ديوان له بعنوان /قالت لي السمراء/ فيثير بصدوره صيحة نزقة حارة، كشفت - ربما بصورة عفوية - عن أهواء، ومشاعر جيل فترة الحرب، لتواجه سيلاً جارفاً من لعنات المتزمتين

واستنكارهم ولتكون الفأس الأولى في عملية هدم الهيكل الاجتماعي النخر في مجتمعنا.

كتب الشيخ /علي الطنطاوي في عدد آذار /1946 من مجلة الرسالة المصرية يقول:

"طُبع في دمشق كتاب صغير، زاهي الغلاف ناعمه ملفوف بالورق الشفاف الذي تلف به علبة "الشوكولاته" .. في الأعراس، معقود عليه شريط أحمر، كالذي أوجب الفرنسيون - أول العهد باحتلالهم الشَّام - وضعه في خصور "بعضهن" ليعرفن به، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر، فيه أشطار طولها واحد، إذا قستها بالسنتيمترات، ويضيف:

"يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق والقارح والبغي المتمرسة، الوقحة وصفاً واقعياً، لا خيال فيه، لأنَّ صاحبه ليس بالأديب الواسع الخيال بل هو مدللٌ غنِّي، عزيز على أبويه، وهو طالب في مدرسة، وقد قرأ كتابه الطلاب في مدارسهم، والطالبات".

في قصيدة /نهداك/ من ديوان نزار الأّول "قالت لي
السمراء" يقول:

يا صلّبة النهدين... ياأبى الوهم أن تتوهمي
نهداك أجمل لوحتين على جدار المرسم
كُرتان من ثلج الشمال، من الصباح الأكرم
فتقدمي، يا قطتي الصغرى، إليّ تقدمي...
وتحرري مما عليك... وحطمي... وتحطمي...

ويختم ديوانه هذا بقصيدة /البغي/ ليقول في نهايتها:

يا قُضاتي... يا رُماتي... إنكم
إنكم أجبن من أن تعدلوا...
لن تخيفوني... ففي شرعتكم
يُنصرُ الباغي... ويُرمَى الأَعزُّ
تُسألُ الأنثى إذا تزني... وكم
مجرمٍ دامي الزنا... لا يُسألُ
وسريراً واحداً... ضمهما
تسقطُ البنتُ... ويُحمى الرجلُ

لقد شهدت دار توفيق القباني بمئذنة الشحم حراكاً
للزعماء الوطنيين الذين طالما وقفوا في إيوان المنزل وراحوا
يخطبون في ألوف الناس محرضين، مطالبين بمقاومة
الاحتلال الفرنسي، والمطالبة بالاستقلال واضعين خطط
الإضرابات، والمظاهرات، ووسائل المقاومة، وكان نزار
يسترق السمع من وراء الأبواب المغلقة بشغف ولهفة طفولية
دون أن يعي بدقة حقيقة ما يراه... وأبعد ما يسمعه... وخطورة
ما يُخطط له عشاق الوطن ومناضلوه...

يقول نزار قباني:

"كان حي (الشاغور)، حيث كنا نسكن،
معقلاً من معاقل المقاومة، وكان زعماء هذه
الأحياء الدمشقية من تجّار، ومهنيين وأصحاب
حوانيت، يمولون الحركة الوطنية، ويقودونها من
حوانيتهم ومنازلهم. أبي، توفيق القباني، كان
واحداً من أولئك الرجال وبيتنا كان واحداً من تلك
البيوت..."

كان أبي - إذن - يصنع الحلوى، ويصنع الثورة
وكنت أعجب بهذه الإزدواجية فيه، وأدهش كيف
يستطيع أن يجمع بين الحلاوة وبين الضراوة...".

إضافة إلى هذا الاعتزاز والسمو بوالده /توفيق/ كان
نزار فخوراً جداً ومتباهياً بعمِّ والده المسرحي العملاق أبي
خليل القباني... الذي قال نزار فيه:

"أعجوبة كان هذا الرجل... تصوروا إنساناً
أراد أن يحوّل خانات دمشق التي كانت تزرب فيها
الدوابّ إلى مسارح... ويجعل من دمشق المحَافظة،
التقية، الورعة /برودواي/ ثانية... خطيرة كانت
أفكار أبي خليل وأخطر ما فيها أنه نفدّها... وصلبَ
من أجلها.

كانت اللغة الفرنسية لغة نزار الثانية، لأن نظام التعليم
زمن الانتداب الفرنسي كان يعطي هذه اللغة مركزاً
متفوقاً ويجبر الطلاب على إتقانها كلاماً وكتابة، في هذا
المنح الثقافى، وضمن هذا التأسيس منح بطاقة دخول إلى
الفكر الأوروبي، واستطاع أن يقرأ: راسين ومولير

وكورناي وموسيه، ودوفيني، وهوغو، وألكساندر
دوماس، وبودلير، وبول فاليري، وأندره موروا في لغتهم
الأصلية، وتذوق الأدب الفرنسي من منبعه... أما على صعيد
اللغة العربية فقد تتلمذ على يد الشاعر والمعلم الأستاذ خليل
مردم بك، وفي هذا يقول:

"إنني أدين لخليل مردم بك، بهذا المخزون
الشعري الراقى الذي تركه على طبقات عقلي
الباطني. وإذا كان الذوق الشعري عجينةً تتشكل
بما نراه، ونسمعه، ونقرؤه في طفولتنا... فإن خليل
مردم بك كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر
تحت جلدي، وفي تهيئة الخمائر التي كوَّنت
خلاياي وأنسجتي الشعرية".

هذا ولا يغفل أو ينسى فضل الأدباء اللبنانيين في
تكوينه وتأسيسه الشعري: كأمين نخلة، وبشارة الخوري،
والياس أبي شبكة وصلاح لبكي، وسعيد عقل وغيرهم...
أما اللغة الإنكليزية فقد تعلمها في موطنها، أثناء عمله
في السفارة السورية في لندن (1952 – 1955)، وقد بدت
تأثيراتها على مجموعاته /قصائد/ و/حبيبتي/ و/الرسم

بالكلمات، وكانت هذه التأثيرات تتعلق بمنطق اللغة، وطريقة التعامل معها "وهذا مما يشير إليه نزار في كتابه قصتي مع الشعر".

وتعلّم نزار اللغة الإسبانية خلال عمله الدبلوماسي في مدريد /1962 - 1966/ ليصل به الأمر، في فترة من الفترات إلى العشق الجارف لها.

إن الواحد منا ليشعر بإعجاب وجمالية ما قدّمه نزار قباني من دواوين شعرية وكتابة نثرية، تتعرّش أوراقها الخضراء ويأسمينها الدمشقي على أصابعنا ويزين بياض أوراقنا، ويأخذ بقلوبنا نحو خيالات وعوالم باذخة البهاء... وقد منح عالمنا أنيقة العاشق، ورهافة الرّسام، وعمق البحر، وألوان الفيلسوف ولوحات الفيروز:

*- "ليس الشاعر هو الذي يكتب القصيدة، وإنما هي التي تكتبه..."

* — القصيدة، وهي في طريقها لتصبح قصيدة، لا تفكر بشيء ولا تخطط لأي شيء، إنها تتفجر كالألعاب النارية في كل الجهات، وتأخذ أشكالاً غير متوقعة..."

هذا هو نزار الذي تحمّل على مدى خمسين عاماً حريباً
ونقداً لم يتعرض شاعر لها، فالنقد لم يتوقف طوال فترة
عطائه الشعري المتميز والمتفرد، بعد كل قصيدة نقد
وهجوم وعنّف، وعقب إصدار كل ديوان حملة شعواء،
وأقلام مشهورة، واحتجاجات عالية وأصوات مقلقة، قالوا
عنه الكثير، وقيل عن شعره أكثر منذ بداية رحلته الأولى
إلى عالم الأنثى، وقد رأى فيها شقيقته التي انتحرت رافضة
الزواج ممن اختاره لها أهلها، لتموت من أجل الحب:

"حين مشيتُ في جنازة أختي... وأنا في الخامسة
عشرة كان الحبّ يمشي إلى جانبي في الجنازة،
ويشدُّ على ذراعي ويبكي..."

كما رأى أمه، ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب... لقد
عرف نزار المرأة من خلالهما، واستمرت رحلته الشعرية بداية
بـ /قالت لي السمراء - 1944/ وحتى آخر لحظات توهجه
الشعري والحياتي، وقد اتّسم بالجرأة منذ البدايات، حيث
عرّى المجتمع العربي من خلال علاقته مع المرأة، وهذا
الموقف، وبهذه الجرأة تحداه بصورة لم يعتدها أدبنا العربي،
لتتطلق الأصوات، تصفه بالكفر، والخروج عن دينه،

وتجرده من وطنيته وعروبتة وقوميته، في حين جابه ذلك بموقف صلب، ورأي حصيف، ومجابهة شجاعة تكشف زيف عادات بالية، وتقاليد مشوهة ساذجة، وتكشف وجه شاعر يعي ما يقول ويتحدى التقاليد الاجتماعية والشعرية والسياسية. يقول في مقدمة ديوانه /طفولة نهد/:

"نشأت على كره عنيد للشعر الذي يراد من
نظمه إقامة ملجأ، أو بناء تكية، أو حصر
قواعد اللغة العربية، أو تاريخ ميلاد حي أو
تعداد مآثر الميت على رخامة قبره..."

أما عن لقبه /شاعر المرأة/ ولماذا اختار المرأة موضوعاً
رئيساً لشعره فيقول:

"يسألون لماذا أكتب عن المرأة؟"

وأجيب بمنتهى البراءة والبساطة: ولماذا لا أكتب
عنها؟ ويتابعون: لماذا اخترت المرأة موضوعاً رئيساً
لشعرك، ونسييتَ الوطن؟
إن طرح السؤال بهذا الشكل العدواني يدلُّ على أن
طارحيه لا يعرفون شيئاً عن المرأة، ولا عن الوطن..."

إنَّ غضب بعضهم على نزار قباني، وافتراءاتهم بحقه، وإساءاتهم لشخصه وشعره من خلال تناوله المرأة في أشعاره، لم تكن لتخففاً حدته، حتى وهو يعلن موقفه الصريح مطلقاً العنان لقلمه وصوته، معلناً بقوة ورجولة رأيه والتزامه بوطنه وأرضه وعروبتة وحرصه على كرامة أمته، وهو الإنسان العربي المتجذّر في أعماق ثرى بلاده، المدافع عن تاريخ أجداده، وأصالة قوميته، وانتماء منبته وكرامته.

يقول نزار قباني وقد بدا مستغرباً من موقف بعض الذين استنكروا موقفه، وثورته تجاه نكسة الخامس من حزيران 1967:

"الشاعر حالة، وليس شجرة ولا وتد خيمة،
والحالة تنتقل في كل ثانية إلى حالة أخرى،
والشاعر كموج البحر في انقلاب مستمر على
نفسه، ولذا فإنّ تحولي بعد الخامس من
حزيران ليس معجزة ولا نصف معجزة.. إنه
رد فعل إنساني، عمل تدافع به الحياة عن
نفسها".

ويضيف:

"قصيدتي، هوامش على دفتر النكسة،
كانت المانيفستو الذي ضمنته احتجاجي
ومعارضتي:

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم

كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة

ومفردات العُهرِ والهجاءِ والشَّيْمَة

أنعي لكم

أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

إنه نزار قباني الذي قال فأبدع، وكتب فأسر، وصدق
فأسكر اللغة بمدام شعره، وخطف الخيال بنمنمات نقوشه
المصاغة... أشعاره زبرجد، وكلماته فيروز، وسطوره تحف
ما تزال تتكشف عن رقرق معان، وتصاميم صور تنبض

وترقص... وتحيا وتحبو نحو الخلق من جديد... فنزار عالم لم
ينقض برحيله الذي أرّخ له فجر الخميس، الثلاثين من
نيسان 1998 بعد توقف قلب وسع أرجاء المعمورة، وسبح في
خفايا النفس المتقلّبة، والشائرة، والمتغيرة كما الأشياء،
وكما الأيام، وكما الحياة...

رحل نزار، ولكن العالم الذي رسمه بريشة طفولية
متمردة حيناً وهادئة أخرى، لطيفة أناً، وهائجة أناً... نزار
الذي ولد ورحل في ربيع آذار ونيساني... حيث تتفتح أكام
الشّفق، وترنو أسراب الانعتاق نحو عالم لا بداية له ولا
نهاية، عالم يزداد فيه الشوق، ويطفو الحنين إلى كلمات...
هي كل الكلمات... ورسم هو كل الرسوم... يتربع فوق
عرشه الأسطوري أمير الشعر الحديث الخالد بخلود دمشق...
وقد أضحى حديقة ياسمين في جيدها...

"أعود إلى دمشق ممتطياً صهوة سحابة

أعود ممتطياً أجمل حصانين في الدنيا:

حصان العشق... وحصان الشّعْر

أعود بعد ستين عاماً لأبحث عن جبل مشيمتي...

وعن الحلاقّ الدمشقي الذي ختني
وعن القابلة التي رمتني في طشت تحت السرير...
وقبضت من أبي ليرة ذهبية
وخرجت من بيتنا في ذلك اليوم من آذار 1923
ويدها ملطختان بدم القصيدة"
وأقاتل من أجل تحرير المرأة من رسوبات العصر
الجاهلي، كما أقاتل من أجل تحرير الأرض من
خوافر الخيول الإسرائيلية...
أصابعي... هي هي، وصوتي... هو هو، وأنا موجود
في عيون الجميلات، كما أنا موجود في فوهات
البنادق...

بدأ نزار قباني عملية الجلد العلنية بقصيدته /هوامش
على دفتر النكسة/ وأكدها في /الممثلون - الاستجاب -
والخطب الوطنية - وحوار مع أعرابي أضاع فرسه/...

هذا هو نزار قباني، وهذا هو الوجه الوطني العربي
ينبهي واضحاً من خلال القصائد المختارة لكتاب الجيب
الذي يؤكد أن الشعر السياسي والهّمّ العربي والغيرة القومية

لا تقل أهمية ومكانة وعطاء عن شعر الحب والغزل والمرأة
والعالم الرومانسي الفريد الذي أبدعه وزينه شاعر التجديد
والحدائث وشاعر الغضب العربي:

"لم يبق - بعد حزيران - للشاعر سوى حصان
واحد يمتطيه هو الغضب"

ذلكم هو نزار قباني الذي نجح في حفر طريق جديدة،
حديثه، للشعر العربي، وقد ألف قاموساً لغوياً، وأسلوباً
أضحت فيه اللغة النزارية والصياغة معلماً متفرداً وخاصاً
به، معلماً جميلاً لا بل رائعاً يجمع ما بين السهولة والتعقيد...
بما يكون أن نسميه: السهل الممتع وصدق من قال عنه: لقد
فتق أكمام اللغة، ونحت منها مفردات وقوالب غنائية وهي
مزية لم تتحقق إلا لنزار.

إن المتتبع لما كتبه الشاعر المبدع والمجدد نزار قباني،
الأيقونة الدمشقية الحقيقية، فخلدها وخلدته... وكتبها بعد
أن كتبته... ولبسته إكليل ياسمين، وطوق زنبق بلدي
مخضّب بخضرة الانبعاث المتجدد لحالة الحب السامي،
والتغني به في صورة تخطت كل ما سمعناه، وما رددته ثغر
الشعراء، وما شدا به الشعر، وهو القائل:

مالي أُحدِّقُ في المرأة... أسأَلها
بأيُّ ثوبٍ من الأبواب ألقاه؟
أأدَّعي أنني أصبحتُ أكرهه؟
وكيف أكره من في الجفن سُكناه؟
وكيف أهرب منه؟ إنَّه قدرِي
هل يَمَلِكُ النهرُ تغييراً لمجراه؟
أحُبُّه... لست أدري ما أحب به
حتى خطاياها... ما عادت خطاياها
الحبُّ في الأرض بعضٌ من تخيلنا
لو لم نجدُه عليها لاخترعناه

نقول، بأن المتتبع لما كتبه نزار على مدى نصف قرن
من الزمن يمكنه أن يكتشف بوضوح وبسهولة أنَّ شعر نزار
بدا بعد هزيمة الخامس من حزيران 1967 شعراً منفصلاً
بالعصر الذي يعيشه، وبالإنسان والأرض وفي هذا يقول: إنني
أكتب عن المرأة، وعن القضية العربية بحبر واحد.

إيضاح إلى قراء شعري

ويقولُ عنِّي الأَغبياءُ:
إني دخلتُ إلى مقاصير النساء... وما خرجت
ويطالبون بنصب مشنقتي... لأني
عن شؤون حبيبتي... شعراً كتبت...
أنا لم أُنَاجِرُ - مثل غيري - بالحشيش...
ولا سَرَقْتُ... ولا قَتَلْتُ...
لكنني... أحببتُ في وضح النهار...
فهل تراني قد كَفَرْتُ؟

ويقولُ عنِّي الأَغبياءُ:
إني بأشعاري، خرجت على تعاليم السماء؟
إنَّ السَّماءَ صديقتي

تبكي إذا أبكي... وتضحك إن ضحكت...
وتزيد أنجمها بريقاً...
إن أنا يوماً عشقت...
ماذا... إذا غنيتُ باسم حبيبتى؟
وزرعتها في كلِّ عاصمة
كغابة كستناء؟

سأظلُّ أحترفُ المحبة... مثل كل الأنبياء
وأظلُّ أحترفُ الطفولة، والبراءة، والنقاء
وأظلُّ أكتبُ عن شؤون حبيبتى...
حتى أدوبَّ شعرها الذهبي، في ذهب المساء
وأنا - وأرجو أن أظلُّ كما أنا...
طفلاً يُخرِّش فوق حيطان النجوم كما يشاء
حتى يصيرَ الحبُّ في وطني بمرتبة الهواء
وأصيرُ قاموساً لطلاب الهوى
وأصيرُ فوق شفاههم
ألفاً وباء

أنا يا صديقة متعبٌ بعروبتِي

- 1 -

يا تونس الخضراء جئتكَ عاشقاً
وعلى جيبني وردة وكتاب
إنيّ دمشقي الذي احترق الهوى
فاخضوضرت بغنائهُ الأعشاب
أحرقت من خلفي جميعَ مراكبي
إن الهوى أن لا يكون إياب
أنا فوق أجفان النساء مكسر
قطع فعمري الموج والأخشاب
لم أنسَ أسماءَ النساء... وإنما
للحسن أسباب ولي أسباب

يا ساكنات البحر... في قرطاجة
جفَّ الشذى وتفرَّق الأصحاب
أين اللواتي حبهن عبادة
وغيابهن وقربهن عذابُ
اللابسات قصَائِدِي وَمَدَامَعِي
عاتبتهن فما أفادَ عتاب
أحبتهن وهن ما أحببني
وصدقتهن ووعدهن كتاب
إِنِّي لِأَشْعُرَ بِالِدَوَارِ... فَنَاهِدُ
لِي يَطْمَئِنُّ... وَنَاهِدُ يِرْتَابُ
هل دولة الحَبِّ التي أسستها
سَقَطَتْ عَلَيَّ... وَسُدَّتْ الْأَبْوَابُ
تبكي الكؤوس، فبعد ثغر حبيبي
حلفت بأن لا تُسكر الأعناب
أَيُّصَدْنِي نَهْدُ تَعَبْتِ بِرِسْمِهِ؟
وتخونني الأقراط والأثواب؟

ماذا جَرَى لمالكي وبيارقي؟
أدعو رباب... فلا تجيب رباب
أأحاسب امرأة على نسيانها
ومتى استقام مع النساء حساب؟
ما تبتُّ عن عِشْقي... ولا استغفرته
ما أسخف العشاق لو هم تابوا

- 2 -

قمر دمشق يسافر في دمي
وبلابل... وسنابل... وقباب
الفل يبدأ من دمشق بياضه
وبعطرها تتطيب الأطياب
والماء يبدأ من دمشق... فحيثما
أسندت رأسك جدول ينساب
والشعر عصفور يمد جناحه
فوق الشام... وشاعر جَوَّاب

والحُبُّ يبدأ من دمشق... فأهلنا
عَبَدُوا الجَمَالَ وَذَوَّبُوهُ... وذابوا
والخيلُ تبدأ من دمشق مَسَارَهَا
وَتَشْدُ للفتح الكبير ركاب
والدهر يبدأ من دمشق... وعندها
تبقى اللغاتُ وتحفظُ الأنساب
ودمشق تُعطي للعروبة شكها
وبأرضها تتشكلُ الأحقاب

- 3 -

بدأ الزفاف فمن تكون مضيفتي
هذا المساء ومن هو العرَّاب؟
أنا مغنيُّ القصر... يا قرطاجة
كيف الحضور؟ وما عليَّ ثياب
ماذا أقول؟ فمي يفتش عن فمي
والمفردات حجارة وتراب...

فمآدب عربية... وقصائد
همزية... ووسائد وخباب
لا الكأس تُسِينا مساحةً حزننا
يوماً... ولا كل الشراب شراب

- 4 -

من أين أدخل في القصيدة يا ترى؟
وحدائق الشعر الجميل... خراب
لم يبق في دار البلابل بلبل
لا البُحْثري هنا... ولا زرياب
شعراءُ هذا اليوم جنسٌ ثالثٌ
فالقولُ فوضى... والكلامُ ضباب
يتكلمون مع الفراغ... فما هم
عَجَمٌ إذا نَطَقوا... ولا أعراب
اللاهثون على هوامش عمرنا
سيان إن حضروا وإن هم غابوا..

يتهمون على النبيذ معتقاً
وَهُمْ على سَطْحِ النبيذِ ذباب
الْحَمْرُ تبقى إن تقادم عهدها
حَمْرًا... وقد تتغير الأكواب

- 5 -

من أين أدخل في القصيدة يا ترى؟
والشمس فوق رؤوسنا سرداب
إنَّ القصيدة ليس ما كتبتُ يدي
لكِنَّها ما تكتبُ الأهداب...
نار الكتابة أحرقت أعمارنا
فحياتنا الكبريت والأحطاب
ما الشعر؟ ما وجع الكتابة؟ ما الرؤى؟
أولى ضحايانا هم الكُتَّاب
يعطوننا الفرح الجميل... وحظهم
حظ البغايا... ما لهن ثواب

يا تُونس الخضراء... هذا عالمٌ
يثرى به الأمي... والنَّصاب
فمن الخليج إلى المحيط... قبائل
بَطِرَت فلا فكر ولا آداب
في عَصْرِ زيت الكاز... يطلب شاعر
ثوباً وترفل بالحرير قَحَاب!!

- 6 -

هل في العيون التونسية شاطئ
ترتاح فوق رماله الأعصاب؟
أنا يا صديقة متعب بعروبيتي
فهل العروبة لعنة وعقاب؟
أمشي على ورق الخريطة خائفاً
فعلَى الخريطة كلنا أغراب...
أتكلم الفصحى أمام عشيرتي
وأعيد... لكن ما هناك جواب

لولا العباءات التي التقوا بها
ما كنت أحسب أنهم أعراب...
يتقاتلون على بقايا تمرّة
فخناجر مرفوعة وحراب
قُبُلَاتهم عربيّة... من ذا رأى
فيما رأى قُبُلًا لها أنياب

- 7 -

يا تونس الخضراء... كأسّي علقم
أعلى الهزيمة تُشْرَب الأُنخاب؟
وخريطة الوطن الكبير فضيحة
فحواجز... ومخافر.. وكلاب
والعالم العربي... إمّا نعمة
مذبوحة أو حاكم قصاب
والعالم العربي يرهن سيفه
فحكاية الشرف الرفيع سراب

والعالم العربي يخزن نفضه
في خصيته... وربك الوهَّاب
والناسُ قبلَ النفطِ أو من بعده
مستنزفون فسادة ودواب

- 8 -

يا تونس الخضراء كيف خلاصنا؟
لم يبق من كتب السماء كتاب...
ماتتُ خيولُ بني أمية كلها
خَجَلًا... وظل الصرف والإعراب
فكأنما كتب التراث خرافة
كبرى، فلا عمر... ولا خطاب
وبيارق ابن العاص تمسحُ دمعها
وعزيز مصر بالفصام مصاب
من ذا يصدق أن مصر تهوِّدت
فمقام سيدنا الحسين يباب

ما هذه مصر... فإن صلاتها
عبرية... وإمامها كذاب
ما هذه مصر... فإن سماءها
صغرت وإن نساءها أسلاب
إن جاء كافور... فكم من حاكم
فهر الشعوب وتاجه قبقاب...

- 9 -

بحرية العينين... يا قرطاجة
شاخ الزمان، وأنت بعد شباب
هل لي بعرض البحر نصف جزيرة؟
أم أن حبي التونسي سراب
أنا متعب... ودفترتي تعبت معي
هل للدفاتر يا ترى أعصاب؟
حزني بنفسجة يبللها الندى
وضفاف جرحي روضة معشاب

لا تعذليني... إن كشفتُ مواجعي
وجه الحقيقة ما عليه نقاب
الجنون وراء نصف قصائدي
أوليس في بعض الجنون صواب؟
فتحملي غضبي الجميل فربما
ثارت على أمر السماء هضاب
فإذا صرختُ بوجه من أحببتهم
فلكَ يعيشُ الحب والأحباب
وإذا قسوتُ على العروبة مرة
فلقد تضيق بكحلها الأهداب
فلربما تجد العروبة نفسها
ويضيء في قلب الظلام شهاب
ولقد تطير من العقال حمامة
ومن العباءة تطلع الأعشاب

- 10 -

قرطاجة... قرطاجة... قرطاجة
هل لي لصدرك رجعة وقباب؟
لا تغضبي مني... إذا غلب الهوى
إن الهوى في طبعه غلاب
فذنوب شعري كلها مغفورة
والله جلّ جلاله التّوّاب...

المتنبي وأم كلثوم على قائمة التطبيع

- 1 -

وصل قطار التطبيع الثقايف...
...إلى مقاهينا

...وصالوناتنا

...وغرف نومنا المكيفة الهواء

ونزل منه أشخاص غامضون

يحملون معهم معاجم... ودواوين شعر

...ومصاحف مكتوبة باللغة العبرية

ويحملون معهم جرائد تقول

... إن شاعر العرب الأكبر

أبا الطيّب المتنبّي
صار وزيراً للثقافة في حكومة حزب العمل
وأن مطربة العرب الأولى
السيدة أم كلثوم
سوف تغني قصيدة جديدة لشاعر إسرائيلي
وهكذا يستقبل الشعر العربي من كبريائه
وتتسى عصافيرنا
غناء المقامات والتواشيح

- 2 -

هذا زمن التطبيع... يا سيدتي
...يهجم علينا بكل سماسرته... وشيكاته
..ومافياته
ليجردنا من آخر ورقة توت... تستقر بها
...أجسادنا
...آخر قصيدة ندافع بها عن أنفسنا

هذا زمن (التركيع)... يا سيدتي
...يدخل علينا
...مرة بشكل فيلسوف
ومرة بشكل كاهن
ومرة بشكل جنرال
ومرة بشكل كومسيونجي
إلى أن يصبح الوطن العربي
...مركزاً للصرافة
وبيتاً للدعارة

- 3 -

تطبيع في الصباح وتطبيع في المساء
وتطبيع في الشارع
وتطبيع في المقهى
(حتى صرنا) طبعة ثانية
...صادرة باللغة العبرية
من كتاب الأغاني

- 4 -

لذلك فكرت في تطبيع علاقاتنا العاطفية

...قبل أن يصل المقاتلون

...والمتعهدون

...وتجار الشنطة

...ومندوب صندوق النقد الدولي

G.A.T.T وممثل

...وقائد حلف الناتو

وأدميرال الأسطول السادس

ورئيس مجلس إدارة النظام العالمي الجديد

وعندئذٍ... يكون كل شيء جاهزا

للتوقيع على شهادة وفاة التاريخ العربي

بالسكّنة القومية

- 5 -

...أريد أن أطبّع علاقاتي
...مع امرأة من لحمي ودمي
تعيق بشرتها
رائحة النرجس، والريحان، والورد البلدي
...والصابون النابلسي
وتتجمع في صوتها... أسراب الحمام
...وشتول الياسمين الدمشقي

- 6 -

أريد أن أشرب قهوة الكابوتشينو... معك
...وأكل مناقيش الزعتر معك
وأحدث في السياسة معك
...وفي الثقافة معك
...وفي الحب معك

...ولا مع البولونيات... والهنغاريات
والتشيكيات... والروسيات
القادمة إلينا من حقائب أمريكية
ومعهن... كل عناوين البيوت الفلسطينية

- 7 -

أريد أن أأثم يديك
قبل أن تفرغ أكواز العسل
وأن أتصالح مع شفّتيك
قبل أن يرحل موسم شقائق النعمان
وأن أعلمك أوزان الشعر
قبل أن يقتلوا الخليل بن أحمد الفراهيدي

- 8 -

أريد

أن أنام في جوف راحتك الصغيرتين

قبل أن نصبح - أنت وأنا -

أعضاء في نادي العراة

وأقلية مضطهدة

في وطن يتدحرج ككرة البلياردو

تحت سواحل البحر الميت

- 9 -

أريد

أن أسمعك قصيدة حب واحدة

فهذه فرصتي الثقافية الأخيرة

قبل أن يسجلوا صوتي

ويراقبوا هاتفي...

...ويراقبوا هاتفي
...ويختموا بالشمع الأحمر ذاكرتي
...هذه فرصتي الأخيرة
حتى أدافع عنك... وعن حرיתי
وعن زمن الشعر... والياسمين

- 10 -

أريد أن أحتفظ بآخر قميص كبرياء ألبسه
قبل أن يرموني كيوسف في غيابة الجب
ويكتموا خبر موتي... عن أبي

- 11 -

أريد أن ألتصق بك قليلا
حتى أشعر بشيء من الدفاء
وشيء من الأمان
وشيء من الكبرياء

وحتى أشعر أن هناك امرأة
تستطيع أن ترقم هذا الخراب
الذي يتراكم فوق قلبي
وفوق دفاتري

- 12 -

ربما كان الحب يا سيدتي
تعويضاً عادلاً... عن هذا السقوط القومي
...الكبير
وربما كان زورق النجاة الأخير
في بحر الكراهية العربي
وطوفان الشعوبية الجديدة

- 13 -

إن العالم كله يدور من حولي
والصفقات المالية تعقد من ورائي

والمقاولون يملأون فنادق المنطقة
والبيع والشراء في أوجه
والدولارات تتناثر...
والضمانات تتناثر...
والسماسرة يعدون الوثائق الرسمية
...لبيع التاريخ

- 14 -

إن المشهد سينمائي حقا
فثمّة دولة من أقاصي الخليج
لم يسبق لها أن جرحت إصبعها
في أية حرب مع إسرائيل
تتبرع بكتابة أول رسالة غزل مكشوف إليها
قبل عيد فالنتاين بوقت طويل

- 15 -

وثمة دول
أخذتها نوبة من النوستالجيا
إلى رحاب المسجد الأقصى
فرمت سفراءها بالباراشوت...
ليحطوا سلاماً على حائط المبكى
باعتبارهم من أهل العروس...
حتى لا تضيع عليهم علبة الملبس...
وفرصة التقاط الصور التذكارية

- 16 -

هذا هو مسرح اللامعقول
بل هذا هو المسرح التجريبي
الذي أدخل الجمهور العربي
في مرحلة الكوما... والصرع...
وانهيار الأعصاب

- 17 -

الذين زاروا أخيراً
قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق
قالوا بأنه مصاب بحالة اكتئاب
وممتع عن قراءة الصحف...ومشاهدة
التلفزيون
وإنه يرفض إجراء أي حوار مع الصحافة
العالمية
حول التطبيع... والمطبعين
و(الهرولة)... و(المهرولين)

- 18 -

اسمحي لي يا سيدتي
أن ألمس قفطان البروكار الدمشقي الذي تلبسينه
حتى أستعيد توازني النفسي... والقومي

فأنا لا أفهم
لماذا لا يُطَبِّع العرب مع العرب... أولاً؟
ولماذا يتقاتل التاريخ مع التاريخ؟
والقبيلة مع القبيلة؟
واللغة مع اللغة؟

- 19 -

أريد أن أسأل
لماذا في بلادنا ، تتقاتل الأفعال مع الأسماء
والألف مع الباء...
والحليب مع الأثداء
وتقف النساء ضد حرية النساء؟

- 20 -

ثم لماذا يفترس الإسلام نفسه؟
وتتفجر العروبة من داخلها
كسيارة مفخخة؟؟

- 21 -

متى أتعلم الواقعية؟
أو ما فوق الواقعية؟
وأركض مع الراكضين
للحصول على شريحة لحم من كتف الوطن؟
حيث الذبائح كثيرة
والذابحون أكثر
وأنا أتطلع إلى المنسف الكبير
ولا أتجرأ على مد أصابعي
لأن أمي - رحمها الله - ولدتني نباتيا
يأكل حشيش الشعير...
وحشيش الحب...
وحشيش الأحلام

- 22 -

لماذا لم أتعلم من السلاحف فضيلة الزحف؟
ومن أسماك القرش... فضيلة الانقضاض؟
ومن العلق... فضيلة مصّ الدماء؟
ومن بعض الشعراء... فضيلة الشحادة؟
ومن المستبدين العرب
فضيلة أكل شعوبهم

- 23 -

متى سأستقيل من المدرسة الرومانسية؟
التي بقيت فيها خمسين عاماً!
بهلولا يتسلى بكتابة الشعر
ولم أحصل على صنفقة واحدة...
أو على رشوة واحدة...
أو على فيلا واحدة...

أو على امرأة واحدة...
تتزوجني لوجه الشعر...
أو لوجه الأدب العربي...
أو لوجه الانحطاط العربي؟؟

- 24 -

متى سوف أتوب عن الحب... وعن الصراخ
وعن الكتابة؟
لا جواب عندي الآن لهذه الأجوبة المستحيلة!!...
ولكنني سوف أجيبكم بعد موتي

- 25 -

هل تعرفين الآن يا سيدتي؟
لماذا أريد تطبيع علاقاتي العاطفية معك؟
لأنني أريد أن أحب امرأة عربية
امرأة عربية واحدة!!
لا تحمل على جسدها آثار التطبيع.

هذه هي حبيبتى...
هذه هي مدينتى

- 1 -

أبحث عن مدينة تُشبهُنَا
شتاؤها يُشبهُنَا
خريفها يُشبهُنَا
هدوءها يُشبهُنَا
جنونها يُشبهُنَا
بروقها
رعودها
أمواجها تُشبهُنَا
أبحث عن مدينة شبيهة بلون عينيك...
وأحزاني أنا

- 2 -

أبحث عن مدينة...
في آخر العالم لا نعرف فيها أحداً...
وليس فيها أحد يعرفنا...
أمطارها تُغرقنا... وثلجها يُحرقنا...
عن فندق ندخله في آخر الليل...
فلا يسأل عن أسمائنا

- 3 -

أبحث عن كنيسة صغيرة
مفتوحة الأبواب للعشاق
لا تسألنا عن ديننا...
ومن يكون ربنا؟

- 4 -

أبحث عن مدينة
طازجة كالعشب في البرية
فمستحيل أن أحب امرأة...
في هامش الشعر...
ولا في هامش الحرية

- 5 -

أبحث عن مدينة...
سماؤها مفتوحة كدفتر الكتابة
وبحرها سفينة تدعوك للرحيل...
أبحث عن حبيبة تجعلني
أكتظ بالشعر... كبستان من النخيل

- 6 -

أبحث عن مدينة
نكتب ما شئنا على جدرانها
مدينة تحرّض الزلزال في داخلنا...
تدهشنا... تخضنا.. تقلقنا
مدينة لا تقمع الحب... ولا الشعر
ولا تقمعنا

- 7 -

أبحثُ عن شوارع ضيقة تبلعنا...
عن مركب مغامر...
يأخذنا ليلاً... ولا يُرجعنا

- 8 -

أختار منفاي كما يعجبني
وأصنع الزمان والمكان
أختار دوماً جانب القصيدة...
وجانب الإنسان

- 9 -

أبحث عن زاوية صغيرة في مطعم...
تصغي إلى حوارنا
أبحث عن أي نبئذ جيد...
من قبل أن نشره...يشرينا
أبحث عن قصيدة...
تركها وديعة ما بين نهديك
فهل توجد عندي فرصة أخرى...
لكي أسترجع الوديعة؟

- 10 -

أبحث عن سواحل مفتوحة رحبية
عن أيّ شكل هارب من شكله...
عن لغة عربيّة
تغسلني من صدأي...!!
تغسلني من دبق العروبة

أوراق إسبانية

- 1 -

الجسر

إسبانيا...
جسرٌ من البكاء...
يمتدُّ بين الأرض والسماء...

- 2 -

سوناتا

على صدر قيثارةٍ باكيةٍ
تموتُ
وتولدُ إسبانيةً...

- 3 -

الفارسُ والوردة

إسبانيا...

مراوُحٌ هُفاهةٌ

تُمشِطُ الهِواءَ...

وأعينٌ سوداءٌ...

لا بدءٌ لها... ولا انتهاءٌ

قُبَّعةٌ تُرمى أمامَ شرفةِ الحبيبةِ...

ووردةٌ رطبيةٌ...

تطيرُ من مقصورةِ النساءِ

تحملُ في أوراقها الصلاةَ والدعاءَ

لفارسٍ من الجنوب... أحمر الرداءِ

يداعبُ الفناء...

وكلُّ ما يملكهُ...

سيفٌ... وكبرياءٌ...

- 4 -

بيت العصفير

بإشبيلية
تعلق كلُّ جميله
على شَعْرها وردةً قانيةً
تحطُّ عليها مساءً
جميعُ عصفيرِ إسبانيةً

- 5 -

مراوح الإسبانيات

إذا لَمَلَمَ الصيفُ أشياءهُ
ومات الربيعُ على الربابة
تفتَّحَ ألف ربيعٍ جديدٍ
على ألفِ مروحةٍ زاهيةٍ...

- 6 -

اللؤلؤ الأسود

شوارعُ غرناطة في الظهيرة
حقولُ من اللؤلؤ الأسود...
فمن مقعدي...
أرى وطني في العيون الكبيرة
أرى مئذنات دمشق مُصَوَّرةً
فوق كلِّ ضفيره

- 7 -

دونيا ماريا

تُمرِّفتني... دونيا ماريه
بعينين أوسع من بادية
ووجه عليه شمسُ بلادي
وروعةُ آفاقها الصباحية...
فأذكرُ منزلنا في دمشق

وَلُثْغَةَ بَرُكَّتِهِ الصَّافِيَةَ
وَرُقْصَ الظَّلَالِ بِقَاعَاتِهِ
وَأَشْجَارَ لَيْمُونِهِ الْعَالِيَةَ
وَبَاباً قَدِيمًا... نَقَشْتُ عَلَيْهِ
بِخَطِّ رَدِيِّ... حِكَايَاتِيَّ
بِعَيْنِكَ... يَا دُونِيَا مَارِيَّةُ
أَرَى وَطَنِي مَرَّةً ثَانِيَةً...

- 8 -

الْقُرْطُ الطَّمُوحُ

عَلِي أُذُنِي هَذِهِ الْغَانِيَةَ
تَأْرَجَحُ قُرْطٌ رَفِيعٌ
كَمَا يَضْحَكُ الضُّوْءُ فِي الْآنِيَةِ
يَمُدُّ يَدَيْهِ... وَلَا يَسْتَطِيعُ
وُصُولًا... إِلَى الْكَتِفِ الْعَارِيَةِ

- 9 -

الثور

برغمِ النزيفِ الذي يعتريه...
برغمِ السهامِ الدفينةِ فيه...
يَظَلُّ القَتيلُ على ما به...
أجلٌ... وأكبرٌ... من قاتليه...

- 10 -

نزيف الأنبياء

كوريداً... كوريداً...
ويندفعُ الثورُ نحو الرداءِ
قويّاً... عنيداً
ويسقطُ في ساحةِ الملعبِ...
كأيِّ شهيدٍ...
كأيِّ نبيٍّ...
ولا يتخلَّى عن الكبرياءِ...

- 11 -

بقايا العرب

فَلامنكُ...
فَلامنكُ...

فَلامنكُ...
فَلامنكُ...

وتستيقظُ الحانةُ الغافيةُ

على قهقهاتِ صنوجِ الخشبِ

وبحةً صوتِ حزينٍ...

يسيلُ كنافورةٍ من ذهبٍ

وأجلسُ في زاويةٍ

ألمٌ دموعي...

ألمٌ بقايا العربِ...

أحزانُ في الأندلس

كُتبت لي يا غاليه
كُتبت تسألين عن إسبانيه
عن طارق، يفتحُ باسم الله دنيا ثانيه...
عن عُقبه بن نافع
يَزْرَعُ شَتْلَ نخلة...
في قلب كلِّ رايبه...
سألت عن أميه...
سألت عن أميرها معاويه...
عن السرايا الزاهيه
تحمل من دمشق... في ركابها
حضارة... وعافيه..

لم يبقَ في إسبانيَّة
منَّا، ومن عصورنا الثمانيَّة
غيرُ الذي يبقى من الخمرِ
بجوف الآنيَّة...
وأعينٍ كبيرةٍ... كبيرةٍ
مازال في سوادها ينامُ ليلُ الباديَّة...
لم يبق من قُرطبةٍ
سوى دموع المئذنت الباكِيَّة
سوى عبيرِ الورد، والنارنج والأضاليَّة...
لم يبقَ من ولادَّةٍ ومن حكايا حبِّها...
قافيةٌ. ولا بقايا قافيةٍ...

لم يبقَ من غرناطةٍ
ومن بني الأحمر... إلا ما يقول الراويَّة
وغير (لا غالبَ إلا اللهُ)
تلقاك بكلِّ زاويَّة...

لم يبقَ إلاَّ قصرُهُم
كامرأةٍ من الرخام عاريةٍ...
تعيشُ - لا زالتُ - على
قصةٍ حبٍّ ماضيةٍ...

مضتْ قرونٌ خمسةٌ
مُدَّ رحلَ (الخليفةُ الصغيرُ) عن إسبانيةٍ
ولم تزلْ أحقادنا الصغيرةً...
كما هيَّةٌ...
ولم تزلْ عقليةُ العشيرةِ
في دمننا كما هيَّةُ
حوارنا اليوميُّ بالخناجرِ...
أفكارنا أشبهُ بالأظافرِ
مضتْ قرونٌ خمسةٌ
ولا تزالُ لفظةُ العروبةِ
كزهرةٍ حزينةٍ في آنيةٍ...

كطفلة، جائعة... وعارية
نصلبها... على جدارِ الحقدِ والكراهية...

مضت قرونٌ خمسةٌ... يا غالية
كأنا... نخرجُ هذا اليومَ من إسبانيّة...

غرناطة

في مدخل (الحمراء) كان لقاءنا...
ما أطيّب اللُقيا بلا ميعاد
عَيْنَانِ سَوْدَاوَانِ... في حَجْرِيهِمَا
تتوالدُ الأبعادُ من أبعاد...
هل أنتِ إسبانيَّةٌ... ساءلُتها
قالت: وفي غرناطةٍ ميلادي.
غرناطة! وصحت قرونٌ سبعةٌ
في تينك العينين... بعد رُقَادِ
وأميةٌ... راياتها مرفوعةٌ
وجيادُها موصولةٌ بجياد...
72

ما أغربَ التاريخ... كيف أعادني
لحفيدة سمراء... من أحفادي
وجه دمشق... رأيت خلاله
أجفان بلقيس... وجيد سعاد
ورأيت منزلنا القديم... وحجرة
كانت بها أمي تمدُّ وسادي
والياسمينه، رُصِّعت بنجومها
والبركة الذهبية الإنشاد...

ودمشق... أين تكون؟ قلتُ تريئها
في شعرك المنساب نهر سواد
في وجهك العربي، في الشعر الذي
ما زال مختزناً شمسَ بلادي
في طيب (جنات العريف) ومائها
في الفلّ، في الريحان، في الكباد

سارتُ معي... والشَّعْرُ يلهثُ خلفها
كسناجل تُركتُ بغيرِ حصادٍ...
يتألقُ القرطُ الطويلُ بجيدها
مثلَ الشموعِ بليلةِ الميلادِ...
ومشيتُ مثلَ الطفلِ خلفِ دليتي
وورائيَ التاريخُ... كومُ رمادٍ...
الزخرفاتُ أكادُ أسمعُ نبضَها
والمزركشاتُ على السقوفِ تنادي
قالتُ: هنا الحمراء... زهُوُ جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي
أمجادها!! ومسحتُ جرحاً نازفاً
ومسحتُ جرحاً ثانياً بفؤادي
يا ليتَ وارثتي الجميلةُ أدركتُ
أنَّ الذينَ عنَّهمُ أجدادي...

عانقتُ فيها عندما ودَّعتها
رجلاً يُسمَى (طارقَ بنِ زيادِ)

يوميّاتُ رجلٍ مهزومٍ

لَمْ يَحْدُثْ أَبَداً... أَنْ أَحْبَبْتُ بِهَذَا الْعَمَقِ
لَمْ يَحْدُثْ... لَمْ يَحْدُثْ أَبَداً...
أَنْنِي سَافَرْتُ مَعَ امْرَأَةٍ...
لِبِلَادِ الشُّوقِ...
وَضَرِبْتُ شَوَاطِئَ نَهْدِيهَا
كَالرَّعْدِ الْغَاضِبِ، أَوْ كَالْبَرْقِ
فَأَنَا فِي الْمَاضِي لَمْ أَعْشَقْ
بَلْ كُنْتُ أُمْتَلُ دَوْرَ الْعَشِيقِ

لَمْ يَحْدُثْ أَبَداً
أَنْ أَوْصَلَنِي حُبُّ امْرَأَةٍ حَتَّى الشُّنْقِ

لم أعرِفُ قبلكِ واحدةً
غَلَبْتُني... أخذتُ أسلحتي...
هَزَمْتُني... داخلَ مملكتي
نَزَعْتُ عن وجهي أقنعتي...
لم يحدثُ أبداً سيِّدتي
أنْ ذقتُ النارَ... وذقتُ الحرقُ

كُوني واثقةً... سيِّدتي
سُحِبُك... آلافٌ غيري
وستستلمين بريدَ الشوقِ
لكِنَّك... لن تجدي بعدي
رَجُلًا يهواك بهذا الصِدْقِ
لن تجدي أبداً
لا في الغَرْبِ... ولا في الشَّرْقِ

عرس الخيول الفلسطينية

- 1 -

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الجميلة

بصمت...

وتختار ميبتها النادرة

يقولون: إن الخيول بفطرتها

تعاني من العشق أيضاً

وتعرف معنى الفراق، ومعنى الشجن

وتقرأ أحسن منا جميعاً

... كتاب الوطن

- 2 -

لماذا يسمونه مآتماً؟
لقد كان أروع عرس رأته المدينة
ويا أم يوسف أنت العروس
ونحن شهودك ليل زففت لزين الشباب
ونحن رشقنا كما بالملبس والورد
ونحن رقصنا أمامكما رقصة السيف والترس
نحن وضعناك فوق حصان العريس
وثوب زفافك كان يلامس
أشجار غزة والناصره
لماذا يقولون: إن الخيول
إذا قتلت - تفقد الذاكرة؟؟ -

- 3 -

لقد كان عرساً جميلاً
وكانت فلسطين تستقبل الناس في زيها
الوطني
وكان رجال الصحافة يلتقطون تصاويرها
بين أولادها الأربعة..
...لقد زوجتهم جميعاً
وكانت جميع الخيول تمدُّ إلى الشمس أعناقها العالية
...وتركض ...تركض
...تركض نحو حقول أريحا
وتلعب فوق بساتينها السندسية
لماذا يقولون: إن الخيول الكريمة
لا تعرف الحب... والقصص العاطفية

- 4 -

: صديقي كمال

صديق الدفاتر... والحبر... والكلمات الجديدة

أكلُ الرصاص الذي أطلقوه عليك

لقتل قصيدة؟؟

أكلُ الثقوب التي تركوها على شفتيك

لقتل قصيدة؟؟

...لقد كان عرساً جميلاً

وكننا نزفكُ بين رنين الدفوف

وضوء المشاعل

... وكنتُ تُغني

ونحن نلملم عن شفتيك

ألوف السنابل

وكنتَ تعلمنا كيف نلغي المسافة

... بين الأديب وبين المقاتل

وكنتَ تعلمنا يا صديقي

... بأنَّ المسدس لا يستطيع اغتيال البلابل

- 5 -

بشارع (فردان) كانت تموت الخيول الأصيلة
وكان رجال السياسة في الـ (دولتشي فيتا)
يعيشون كالحلزون الكسول على فضلات الجرائد
... كانوا يسيون كل كبير
...وكل صغير
...وكل الحكومات والأنظمة
(وكان رجال العقيدة يستشهدون بأفكار (ماو)
ويحترفون النضال على علب (المارلبورو) الفارغة
وكان الجواسيس يصطحبون النساء علانية
...ويرتشفون نبيذ البقاع
ويستمتعون بشمس شواطئنا الساحرة
...وكانت فلسطين بين المحيط... وبين الخليج
... تفتش عن غرفة شاغرة

هاملت شاعراً

أن تكوني امرأة... أو لا تكوني

تلك... تلك المسألة

أن تكوني امرأتي المفضلة

...قطتي التركية المدلّله

أن تكوني الشمس... يا شمس عيوني

ويداً طيبةً فوق جبيني

أن تكوني في حياتي المقبله

نجمة... تلك المشكله

... أن تكوني كلُّ شيء

أو تضيعي كلُّ شيء

إنَّ طبعي عندما أهوى
... كطبع البربري
... أن تكوني
كل ما يحمله نوار من عشبِ ندي
... أن تكوني... دفترى الأزرق
... أوراقي.. مدادي الذهبي
أن تكوني... كلمةً
تبحث عن عنوانها في شفتي
طفلةً تكبرُ ما بين يديّ
... آه يا حوريةً أرسلها البحرُ إليّ...
ويا قرعَ الطُّبُولِ الهَمَجِيّ
إفْهَمِينِي...
أَتَمَنِّي مُخْلِصاً أَنْ تَفْهَمِينِي
رُبَّما... أخطأتُ في شرح ظنوني
رُبَّما سرتُ إلى حُبِّكَ معصوبَ العيونِ
وَسَفَّتُ الجسرَ ما بين أتراني وجُنوني

أنا لا يمكنُ أن أعشقَ إلاَّ بجنوني
فأقبليني هكذا... أو فأرفضيني...

إنصتي لي...
أتمنى مُخلصاً أن تُصِيتي لي...
ما هناك امرأةٌ دون بديل
فاتنٌ وجهك... لكن في الهوى
ليس تكفي فتنة الوجه الجميل
افعلي ما شئت... لكن حاذري...
حاذري أن تقتلي في فضولي...
تعبت كفاي... يا سيدتي
وأنا أطرق باب المستحيل
فاعشقي كالناس... أو لا تعشقي
إنني أرفضُ أنصافَ الحلول

إيضاح إلى من يهمها الأمر

لن تغرقيني في هواك بشبر ماء
فبداخلي مات المراهق من زمان
وانتهى الرجل البدائي
أصبحتُ محترفاً
وصرت الآن أبرع في معاملة النساء
أُملي شروط الفاتحين على ملايين الأطباء
من كل نهد سوف أجبي جزية
وإذا عفوت فمن مواقع كبريائي
حسناً لا تبكي علي
فأنت أولى بالرتاء

لستُ الغبي كما افتكرت
وإنما مثلت دور الأغياء
سيان عندي
إن بقيت أو ارتحلت مع المساء
أنا في شؤون الحب، ما اعتدت التلفت
للوراء
إن تذهبي
لن تسقط الدنيا، ولن تنسد أبواب السماء
إن الكواكب في السماء كثيرة
جدا
وحب الصيف يمحو عادة حب الشتاء

في مهرجان المرید الخامس الذي أقيم في بغداد عام 1985 شارك الشاعر العربي الكبير نزار قباني بقصيدة "جلودنا مختومة بختم كربلاء" وقد أحدثت ضجة كبيرة داخل الأوساط الأدبية لما ظهر فيها من الجرأة والتصادمية، حيث تمّ التعطيم والتشويش عليها، ومنعت من الصدور والنشر على الصفحات المقروءة للإعلام العراقي، وقنواته المرئية والمسموعة، وقد حضر هذا المهرجان وزير الإعلام /لطيف نصيف جاسم/ الذي استفزته القصيدة بعد أن ألفاها الشاعر نزار إذ كان ينتظر منه قصيدة مدح - أسوة بمن سبقه من الشعراء، لتأتي القصيدة صادمة للوزير في حين رسمت لنزار حضوراً قوياً، وهالة أسرة من التفخيم والترحيب دون زملائه من الشعراء الآخرين، وقد بلغ الاستفزاز ذروته تجاه الوزير والمسؤولين العراقيين عندما أشار بيديه إلى الشعراء والمسؤولين كافة الجالسين في الصف الأول / الأمامي / ليتابع هجومه قائلاً:

مُسَافرون نحن في سفينة الأحزان

قائدنا مُرتزق

وشيخنا قرصان

فيفجر بل يذهل الجالسين بصاعقته الشعرية الساحقة
في زمن ووقت لا يمتلك أي كان الجرأة على فعل ذلك. وبعد
الانتهاء.. صفق لنزار المسؤولون بامتعاض وبرود وليتم التعميم
التام على القصيدة في وسائل الإعلام فيما عُدَّ تداولها بين
طبقة المثقفين والإعلاميين والآخرين جرماً يستحق العقوبة
والجزاء.

بعدها لم يدع نزار - أبداً - إلى أي مهرجان قام في
العراق وتناولته أجهزة الإعلام - بعد العام 1990 باللعنة
والهجوم علناً، بعد أن كان شاعر العرب الكبير بالنسبة
إلى العراق الشقيق.

جُلُودُنَا مَخْتُومَةٌ بِخَتَمِ كَرِبْلَاءَ

مواطنون دونما وَطَنُ
مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن
مسافرون دون أوراق.. وموتى دونما كفن
نحن بغايا العصر
كل حاكم يبيعنا ويقبض الثمن
نحن جواري القصر
يرسلوننا من حجرة لحجرة
من قبضة لقبضة
من مَالِكِ لِمَالِكِ
ومنْ وَثْنٍ إِلَى وَثْنٍ

نركض كالكلاب كلَّ ليلة
من عدن لطنجة
نبحث عن قبيلة تقبلنا
نبحث عن سِتارة تسترنا
... وعن سَكَن
وحولنا أولادنا
احدودبت ظهورهم وشاخوا
وهم يفتشون في المعاجم القديمة
عن جنة نظيرة
عن كذبة كبيرة... كبيرة
تدعى الوطن

مواطنون نحن في مدائن البكاء
قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء
حنطتنا معجونة بلحم كربلاء
طعامنا... شرابنا

عاداتنا... راياتنا
زهورنا... قبورنا
جلودنا مختومة بختم كربلاء
لا أحد يعرفنا في هذه الصحراء
لا نخلة... ولا ناقة
لا وتد... ولا حجر
لا هند... لا عفراء
أوراقنا مُرِيبة
أفكارنا غريبة
أسمائنا لا تشبه الأسماء
فلا الذين يشربون النفط يعرفوننا
ولا الذين يشربون الدمعَ والشَّقاء

يا وطني المصلوب فوق حائط الكراهية
يا كرة النار التي تسير نحو الهاوية
لا أحد من مضر.. أو من بني ثقيف

أعطى لهذا الوطن الفارق بالنزيف
زجاجة من دمه
أو بؤله الشريف
لا أحد على امتداد هذه العباءة المرقعة

أهداك يوماً معطفاً أو قبعة
يا وطني المكسور مثل عشبة الخريف
مقتلعون نحن كالأشجار من مكاننا
مهجرون من أمانينا وذكرياتنا
عيوننا تخاف من أصواتنا
حكمانا آلهة يجري الدم الأزرق في عروقهم
ونحن نسل الجارية
لا سادة الحجاز يعرفوننا.. ولا رعاع البادية
ولا أبو الطيب يستضيفنا... ولا أبو العتاهية
إذا مضى طاغية
سلمنا لطاغية

مهاجرون نحن من مرافئ التعب
لا أحد يريدنا
من بحر بيروت إلى بحر العرب
لا الفاطميون... ولا القرامطة
ولا المماليك... ولا البرامكة
ولا الشياطين... ولا الملائكة
لا أحد يريدنا
لا أحد يقرؤنا
في مدن الملح التي تذبج في العام ملايين الكتب
لا أحد يقرؤنا
في مدن صارت بها مباحث الدولة عراب الأدب
مسافرون نحن في سفينة الأحزان
قائدنا مرتزق
وشيخنا قرصان
مكومون داخل الأقفاس كالجرذان

لا مرفأً يقبلنا
لا حانةً تقبلنا
كُلُّ الجوازات التي نحملها
أصدرها الشيطان
كُلُّ الكتابات التي نكتبها
لا تعجب السلطان

مسافرون خارج الزمان والمكان
مسافرون ضيِّعوا نقودهم... وضيِّعوا متاعهم
ضيِّعوا أبناءهم... وضيِّعوا أسماءهم.. وضيِّعوا
انتماءهم
وضيِّعوا الإحساسَ بالأمان
... فلا بنو هاشم يعرفوننا

ولا بنو قحطان
ولا بنو ربيعة، ولا بنو شيبان

..ولا بنو "لينين" يعرفوننا

ولا بنو ريحان

يا وطني... كل العصافير لها منازل

إلا العصافير التي تحترف الحرية

فهي تموت خارج الأوطان

أَصْبَحَ عِنْدِي الْآنَ بُنْدَقِيَّةٌ

أصبح عندي الآن بُنْدَقِيَّةٌ
إلى فلسطين خذوني معكم
إلى ربى حزينه
كوجه المجدلية
إلى القباب الخضراء
والحجارة البنية
عشرون عاماً وأنا أبحث عن أرضٍ وعن هوية
أبحثُ عن بيّتي الذي هُنَاكُ
عنْ وَطَنِي المُحَاطِ بِالْأَسْلَاكِ
أبحثُ عن طفولتي

وعن رفاقِ حارتي

عن كتبي

عن صوري

عن كل ركنٍ دافئٍ

وكلّ مزهريه

إلى فلسطينَ خذوني معكم يا أيُّها الرِّجَالُ

أريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرِّجَالِ

أصبحَ عندي الآنَ بُدْقِيَّةٌ

قُولُوا لِمَنْ يَسْأَلُ عن قضيتي

بارودتي صارتُ هي القضية

أصبحَ عندي الآنَ بُدْقِيَّةٌ

أَصْبَحْتُ فِي قَائِمَةِ الثُّوَارِ

أَفْتَرَشُ الْأَشْوَاكَ وَالْغُبَارَ

وَأَلْبَسُ الْمَنِيَّةَ

أنا مع الثُّوَارِ

أنا من الثُّوَارِ

من يوم أن حملتُ بُدقيتي
صارتُ فلسطينُ على أمتارُ
يا أيُّها الثوار
في القدسُ
في الخليلُ
في بيسانُ
في الأغوارُ
في بيت لحمُ
حيثُ كنتمُ أيها الأحرارُ
...تقدّموا...تقدّموا
إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فوهةِ بُدقيّةِ

شعراء الأرض المحتلة

- 1 -

شعراء الأرض المحتلة
يا مَنْ أوراقُ دفاتركمُ
بالدمع مغمسَّةً ، والطينُ
يا مَنْ نبراتُ حناجركمُ
تُشبه حشرجةَ المشنوقينُ
يا مَنْ ألوانُ محابركمُ
تبدو كرقاب المذبوحينُ
نتعلمُ منكمُ منذ سنينُ
نحن الشعراء المهزومينُ
نحن الغرباء عن التاريخ، وعن أحزان المحزونينُ

نتعلمُ منكمُ...

كيفَ الحرفُ يكونُ له شكلُ السكِّينِ

- 2 -

شُعراءُ الأرضِ المحتلَّةُ

يا أجملَ طيرٍ يأتينا من ليلِ الأسرِ

يا حزنًا شفافَ العينين. نقياً مثل صلاةِ الفجرِ

يا شجرَ الوردِ النابتِ من أحشاءِ الجمرِ

يا مطراً يسقطُ... رغمَ الظلمِ، ورغمَ القهرِ

نتعلمُ منكمُ كيفَ يُغني الغارقُ من أعماقِ البئرِ

نتعلمُ... كيفَ يسيرُ على قدميه القبرِ

نتعلمُ كيفَ يكونُ الشعرُ...

شُعراءُ الأرضِ المحتلَّةُ....

يا ضوءَ الشَّمسِ الهاربِ من ثقبِ الأبوابِ

يا قرعَ الطبلِ القادمِ من أعماقِ الغابِ

يا كُلَّ الأسماء المحفورة في ريش الأهداب
ماذا نخبركم يا أحباب؟
عن أدب النكسة، شعر النكسة، يا أحباب...
مازلنا منذ حزيران... نحن الكُتَّابُ
نتمطى فوق وسائدنا...
نلهو بالصرف وبالإعرابُ
يَطأُ الإرهابُ جماجمنا
وَتُقْبَلُ أقدام الإرهاب
نركبُ أحصنةً من خَشَبٍ
وَنُقَاتِلُ أشباحاً وَسَرَابٍ...
وَنُنادي: يا ربَّ الأربابِ
نحنُ الضعفاءُ، وأنتَ المنتصرُ الغلابُ
نحنُ الفقراءُ، وأنتَ الرزَّاقُ الوهَّابُ
نحنُ الجبناءُ، وأنتَ الغفارُ التوابُ
شُعراءَ الأرضِ المحتلَّة...
ما عاد لأعصابي أعصابُ

حُرْمَاتُ الْقُدْسِ قَدْ انْتَهَكْتُ
وَصَلَحُ الدِّينِ مِنَ الْأَسْلَابِ
وَنُسَمِّي أَنفُسَنَا كُتَّابًا؟

محمودُ الدرويش... سلاما
توفيقُ الزَّيَاد... سلاما
يا فدوى طوقان... سلاما
يا مَنْ تَبْرُونَ عَلَى الْأَضْلَاعِ الْأَقْلَامَا...
نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ، كَيْفَ نَفْجِرُ فِي الْكَلِمَاتِ الْأَلْغَامَا..
شُعْرَاءُ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ
مَا زَالَ دِرَاوِيشُ الْكَلِمَةَ
فِي الشَّرْقِ، يَكْشُونَ حَمَامًا...
يَحْسُونَ الشَّايَ الْأَخْضَرَ... يَجْتَرُونَ الْأَحْلَامَا..
لَوْ أَنَّ الشُّعْرَاءَ لَدِينَا...
يَقْفُونَ أَمَامَ قِصَائِدِكُمْ..
لَبَدُوا.. أَقْرَامًا.. أَقْرَامًا...

القدس

بَكَيتُ... حتى انتهتِ الدموعُ
صَلَّيْتُ... حتى ذابتِ الشموعُ
رَكَعْتُ.. حتى ملّني الركوعُ
سَأَلْتُ عن محمدٍ، فيك، وعن يسوعُ
يا قُدُسُ، يا مدينةً تفوحُ أنبياءُ
يا أقصرَ الدروب، بين الأرضِ والسماءِ

يا قُدُسُ... يا منارةَ الشرائحُ
يا طفلةً جميلةً محروقةَ الأصابعُ
حزينةٌ عيناك، يا مدينةَ البُتُولِ

يا واحةً ظليلةً مرَّ بها الرسولُ
حَزِينَةٌ حجارةُ الشوارعِ
حَزِينَةٌ مآذنُ الجوامعِ
يا قُدُسُ، يا جميلةً، تلتفُّ بالسوادِ
مَنْ يقرعُ الأجراسَ في كنيسةِ القيامةِ؟
صبيحةَ الأحادِ
من يحملُ الألعابَ للأولادِ؟
في ليلةِ الميلادِ...

يا قُدُسُ، يا مدينةَ الأحرانِ
يا دمةً كبيرةً تجولُ في الأجنانِ
مَنْ يوقفُ العدوانَ؟
عَلَيْكَ، يا لؤلؤةَ الأديانِ
مَنْ يغسلُ الدماءَ عن حجارةِ الجدرانِ؟
مَنْ يُنقذُ الإنجيلَ؟
مَنْ يُنقذُ القرآنَ؟

مَنْ يُنْقِذُ الْمَسِيحَ مِمَّنْ قَتَلُوا الْمَسِيحَ؟
مَنْ يُنْقِذُ الْإِنْسَانَ؟

يا قُدْسُ... يا مَدِينَتِي
يا قُدْسُ... يا حَبِيبَتِي
غَدًا.. غَدًا... سَيُزْهِرُ اللَّيْمُونُ
وَتَفْرَحُ السَّنَابِلُ الْخَضْرَاءُ وَالزَّيْتُونُ
وتضحك العيون...
وترجعُ الحمائمُ المهاجرةُ
إلى السقوفِ الطاهرةِ
ويَرجعُ الأطفالُ يلعبونُ
ويلتقي الآباءُ والبنونُ
على رُباكِ الزاهرةِ...
يا بَلَدِي...
يا بَلَدَ السَّلامِ وَالزَّيْتُونِ...

وشاية

أَأَنْتَ الَّذِي يَا حَبِيبِي... نَقَلْتَ
لِزُورِقِ الْعَصَافِيرِ أَخْبَارَنَا؟
فَجَاءَتْ... جُمُوعاً جُمُوعاً... تَدُقُّ
مَنَاقِيرُهَا الْحُمْرُ شَبَّاكَنَا
وَتُعْرِقُ مَضْجَعَنَا رَقَزَاتٍ
وَتَعْمُرُ بِالْقَشِّ أَبْوَابَنَا
وَمَنْ أَحْبَرَ النَّحْلَ عَنْ دَارِنَا
فَجَاءَ يَقَاسِمُنَا دَارِنَا
وَهَلْ قُلْتَ لِلوَرْدِ حَتَّى تَدُلِّيَّ
يُزْرِكِشُ بِالنُّورِ جُدْرَانَنَا

وَمَنْ قَصَّ قِصَّتِنَا لِلْفَرَاشِ
فَرَاخٌ يُلَاحِقُ آثَارَنَا
سَيَفْضِحُنَا يَا حَبِيبِي، الْعَبِيرُ
فَقَدْ عَرَفَ الطَّيِّبُ مِيعَادَنَا

"غنتها السيدة فيروز"

من نزار قباني... إلى تلاميذ غزة

يا تلاميذَ غَزَّةِ علِّمونا
بعض ما عندكم فنحن نسينا
علِّمونا بأن نكون رجالاً
فلدينا الرجال صاروا عجيناً
علِّمونا كيف الحجارة تغدو
بين أيدي الأطفال ماساً ثميناً
كيف تغدو دراجة الطفل لغماً
وشريط الحريز يغدو كميناً
كيف مصاصة الحليب إذا ما
اعتقلوها تحوَّلت سكيناً

يا تلاميذ غزّة لا تبالوا
بإذاعاتنا ولا تسامعونا
اضربوا اضربوا بكل قواكم
واحزموا أمركم ولا تسألونا
نحن أهل الحساب والجمع والطرح
ح فحوضوا حروبكم واتركونا
إننا الهاربون من خدمة الجي
ش فهاتوا حبالكم واشنقونا
نحن موتى لا يملكون ضريحاً
ويتامى لا يملكون عيوننا
قد لزمنا جحورنا وطلبنا
منكم أن تقاتلوا التّينا
قد صغرنا أمامكم ألف قرنٍ
وكبرتم خلال شهرٍ قروننا

يلا تلاميذ غزّة لا تعودوا
لكتاباتنا ولا تقرؤونا
نحن آبائكم فلا تشبهونا
نحن أصنامكم فلا تعبّدونا
نتعاطى القات السياسي والقم
ع ونبني مقابراً وسجوناً
حررونا من عقدة الخوف فينا
واطردوا من رؤوسنا الأفيونا
يا أحبائنا الصغار سلاماً
جعل الله يومكم ياسميناً
أمطرونا بطولبة وشموخاً
واغسلونا من قبحنا اغسلونا
إن هذا العصر اليهودي وهمّ
سوف ينهار ولو ملكنا اليقيناً

يا مجانين غزّة ألف أهلاً
بالمجانين إن هم حررونا
إن عصر العقل السياسي ولّى
من زمانٍ فعلموننا الجنونا

ديك الجنّ الدمشقي

إنني قتلتك... واسـترحت
يا أرخص امرأةٍ عرّفتُ...
أغمدت في نهديك... سـكيني
وفي دمك اغتسلت...
وأكلت من شفة الجراح
ومـن سـلافتها شـربت...
وطعنت حُبَّك في الوريد...
طعنته... حتى شـبعتُ
ولفـافتي بفمـي.. فلا انفعـل
الـدُّخان... ولا انفعـلت

ورميت للأسماءك... لحمك
لا رحمت... ولا غفرت
لا تسبني... وانزيت
فوق الوساد كما نزلت
نفت فيك جريمتي
ومسحت سكينتي... ونمت
ولقد قتلتك عشر مرات
ولكنني... فشلت
وظننت، والسكين تلمع
في يدي، أنني انتصرت
وحملت جثتك الصغيرة
طبي أعمق وسرت
ويحشت عن قبر لها...
تحت الظلام فما وجدت

وهربت منك... وراعني
أنبي إليك.. أنا هربت
في كل زاوية... أراك
وكل فاصلة كتبت
في الطيب، في غيم السجائر
في الشراب إذا شربت
أنت القتيلة... أم أنا
حتى بموتك... ما استرحت
حسناً... لم أقتلك أنت
وإنما نفسي... قتلت

هجم النفط مثل ذئب علينا

من بحار النزيف.. جاء إليكم
حاملاً قلبه على كفيّه
ساحباً خنجر الفضيحة والشعر،
ونار التغيير في عينيه
نازحاً معطف العروبة عنه
قاتلاً، في ضميره، أبويه
كافراً بالنصوص، لا تسألوه
كيف مات التاريخ في مقلتيه
كسرته بيروت مثل إناءٍ
فأتى ماشياً على جفنيه
أين يمضي؟ كل الخرائط ضاعت

أين يأوي؟ لا سقف يأوي إليه
ليس في الحي كله قرشي
غسل الله من قريش يديه
هجم النفط مثل ذئب علينا
فارتمينا قتلى على نعليه
وقطعنا صلاتنا... واقتنعنا
أن مجد الغني في خصيته
أمريكا تجرّب السوط فينا
وتشد الكبير من أذنيه
وتبيع الأعراب أفلام فيديو
وتبيع الكولا إلى سيبويه
أمريكا رب... وألف جبان
بيننا، راعع على ركبته
من خراب الخراب... جاء إليكم
حاملاً موته على كتفيه
أي شعير ترى، تريدون منه
والمسامير، بعد، في معصميه

يا بلاداً بلا شعوبٍ... أفيقي
واسحبي المستبد من رجليه
يا بلاداً تستعذب القمع.. حتى
صار عقلُ الإنسان في قدميه
كيف يا سادتي.. يُغني لغني
بعدما خيَّطوا له شفتيه؟
هل إذا مات شاعرٌ عربيُّ
يجد اليوم من يصلي عليه؟..
من شظايا بيروت... جاء إليكم
والسكاكين مرَّقت رثتيه
رافعاً راية العدالة والحب..
وسيف الجلاذ يومي إليه
قد تساوت كل المشانق طولاً
وتساوى شكل السجون لديه
لا يبوس اليدين شعري... وأحرى
بالسلاطين، أن يبوسوا يديه

اليوميّاتُ السريّةُ لقصيدةٍ عربيّةٍ

- 1 -

إذا سَمِعْنَا شاعراً...
يقراً، في أُمُسيّةٍ شِعْريّةٍ، أشْعاره
قُلْنَا لَهُ: (أَحْسَنْتَ يَا مُطْرِبِنَا الكَبِيرِ)
اعْقُدْ عَلَى خَصْرِكَ شالاً أَحْمَراً...
وارْقُصْ لَنَا،
آخِرَ مَا كَتَبْتَ... يا شاعِرِنَا الشَهِيرِ،
ارْقُصْ لَنَا.. ارقُصْ لَنَا
فَنَحْنُ قَوْمٌ لَا يَرُونَ الفَرْقَ
بَيْنَ دِقَّةِ الخَصْرِ... وبين دِقَّةِ التَّعبيرِ...

- 2 -

إذا رأينا شاعراً
يَفْتَحُ فَوْقَ مَنبَرِ شِرْيَانِهِ
مُبَشِّرًا بوردة التغييرِ
قُلْنَا لَهُ:
نريدُ أن تُسَمِّعَنَا (طَقْطُوقَةً) جديدةً
تُنقِدُنَا من صَحْوَةِ الضَمِيرِ
كأنَّما وظيفَةُ الشَّاعِرِ
أَنْ يُخَدِّرَ العَقْلَ...
وَأَنْ يُعْطِلَ التَّفَكِيرَ..

- 3 -

إذا رأينا شاعراً
يَنْزِفُ من جَنَاحِيهِ كَطَائِرِ الكَنَازِ
من أَوَّلِ الليلِ، إلى ولادةِ النَّهَارِ

قُلْنَا لَهُ: (ما صار)...

قُلْنَا لَهُ: (ما صار)...

لأبَدٍ أَنْ تَمُوتَ فَوْقَ أَضْطُّعِ الْقَيْئَارِ

لأبَدٍ أَنْ تَمُوتَ يَا مَهْيَارُ

فليسَ في التاريخ من قصيدةٍ عظيمةٍ

لم تحترق بالنار...

- 4 -

إذا رأينا شاعراً

يلفظُ فوق منبرِ أنفاسه

في قاعةٍ

تكتظُّ بالسُّعال، والتصفيق، والصفير...

قُلْنَا لَهُ:

أعد... أعد...

يا صاحبَ الحُجْرَةِ الحَرِيرِ،

أعد...

أعدُّ...
فما شَبَعْنَا طَرِيًّا
ولا اشْتَرَكْنَا
فِي طُقُوسِ مَوْتِكَ الْمُثِيرِ...
يا عندليبَ اللّيلِ...
يا شاعرنا الكبير...

- 5 -

... وَتَرْفَعُ الكُؤُوسَ نَحْبَ الشاعِرِ الكبيرِ
وَنَشْرَبُ الويسْكَى حَتَّى الرَمَقِ الأخيرِ
وعندما يَفْرُغُ من وَصْلَتِهِ...
نَطْرُدُهُ...
ونأخُذُ القصيدَةَ العَصْمَاءَ للسريِرِ...

محاولة تشكيلية لرسم بيروت

عندما ترجعُ بيروتُ إلينا
بالسلامة...
عندما ترجعُ بيروتُ التي نعرفُها
مثلما ترجعُ للدارِ الحَمَامَة
سوف نرْمي في مياهِ البَحْرِ
أوراقَ السَفَرِ
وسنستأجرُ كُرْسِيِّينِ في بيتِ القَمَرِ...
وسنَقضي الوقتَ،
في زُرْعِ المَواوِيلِ...
وفي زُرْعِ الشَّجَرِ
آه... يا بيروتُ كم أتعَبنا هذا السَفَرُ.

فاغمرينا...
بمكاتبِ المحبين... اغمرينا
بتقاسيمِ العصافير.. اغمرينا
بمزاريبِ المطر...

- 2 -

عندما ترجعُ بيروتُ
التي كانتُ ملاذاً لهوانا
والتي قد أورقتُ
فيها من الحبِّ يدانا
مثلما يرجعُ في الفجرِ الشراعُ
عندما ترجعُ بيروتُ
فهل تأخذني؟
يا صديقي، مرةً أُخرى،
إلى سهلِ البقاعِ
حيثُ أغلى حلمِ عندي
(عروسُ من لبن)

آه.. كم كان بسيطاً
حُبُّ دِيَّاكَ الزَّمَنُ
آه.. كم كان جميلاً
أن يكونَ الحُبُّ إقليماً صغيراً
من أقاليمِ الوَطَنِ

- 3 -

هل من الممكن أن تطلّع بيروتُ الجميلةُ
مرةً أُخرى
من الأرضِ الخرابِ؟
هل من الممكن، أن ينبتَ قمحٌ
في مياهِ البحرِ،
أو يأتي مع الموجِ كتابٌ؟
هل من الممكن أن نكتبَ شعراً؟
مرةً أُخرى... على حَبَّةِ لَوْزٍ أَخْضَرِ
أو على قطنِ السَحَابِ؟
هل لدينا فرصة أُخرى لكي نَعْشَقَ...

أم أنّ العيونَ الخُضَرَ صارتُ مُستَحِيلَةً؟
والعيونَ السُّودَ صارتُ مُستَحِيلَةً؟
وإذا عادَ إلينا (شارعُ الحمراء)
لو عادتْ إلينا (الرملةُ البيضاءُ)
لو عادتْ لنا...
(مَنْقُوشَةُ الرِّعْتَرِ)..
و(الكُورنِيشُ)...
لو عادَ لنا (مَقْهَى دُبَيْبُو)
والمشاوِيرُ الطويلَةُ...

- 4 -

لو فَرَضْنَا...
لو فَرَضْنَا..
أنَّ بِيروتَ الجميلَةَ
نَهَضَتْ من موتها ثانيةً
من سَيُعْطِينا مفاتيحَ الطُّفُولَةِ؟

القصيدة الدمشقية

هذي دمشقُ.. وهذي الكأس والراح
إني أُحِبُّ... وبعضُ الحُبِّ ذبّاح
أنا الدمشقي... لو شرّحتم جسدي
لسال منه... عناقيد وتفاح...
ولو فتحتم شراييني بمديتكم
سمعتم في دمي أصوات من راحوا
زراعة القلب تشفي بعض من عشقوا
وما لقلبي - إذا أحببت - جراح
ألا تزال بخير دار فاطمة؟
فالنهد مستنفر.... والكحل صداح

إن النبيذ هنا... نار معطرة
فهل عيون نساء الشام أقداح؟!
مآذن الشام تبكي إذ تعانقني
وللمآذن كالأشجار أرواح
للياسمين حقوق في منازلنا
وقطة البيت تغفو... حيث ترتاح
طاحونة البن جزء من طفولتنا
فكيف ننسى؟ وعطر الهال فواح
هذا مكان "أبي المعتز" منتظر
ووجه "فائزة" حلو ولماح
هنا جذوري، هنا قلبي... هنا لغتي
فكيف أوضح؟ هل في العشق إيضاح؟!
كم من دمشقية، باعت أساورها
حتى أغازلها... والشعر مفتاح...
أتيت يا شجر الصفاصفا، معذراً
فهل تسامح هيفاء... ووضاح؟

خمسون عاماً... وأجزائي مبعثرة
فوق المحيط، وما في الأفق مصباح
تقاذفتني بحار لا ضفاف لها
وطاردتني شياطين... وأشباح
أقاتل القبح في شعري وفي أدبي
حتى يفتح نوار... وقداح
ما للعروبة تبدو مثل أرملة
أليس في كتب التاريخ أفراح؟
حملت شعري على ظهري... فأتعبني
ماذا من الشّعْر يبقى، حين يرتاح؟

إفادَة في محكمَة الشُّعر

مرحباً يا عراق، جئت أغنيك
وبعض من الغناء بكاء
مرحباً، مرحباً... أتعرف وجهاً
حضرتَه الأيام والأنواء؟
أكل الحب من حشاشة قلبي
والبقايا تقاسمتها النساء
كل أحبابي القدامى نسوني
لا نوار تجيب أو عفراء

فالشفاه المطيبات رماذ
وخيام الهوى رماها الهواء
سكن الحزن كالعصافير قلبي
فالأسى خمرة وقلبي الإناء
أنا جرحٍ يمشي على قدميه
وخولي قد هداها الإعياء
فجراح الحسين بعض جراحي
وبصدري من الأسى كربلاء
وأنا الحزن من زمان صديقي
وقليل في عصرنا الأصدقاء
مرحباً يا عراق، كيف العباءات
وكيف المها... وكيف الأطباء؟

مرحباً يا عراق.. هل نسييتي
بعد طول السنين سامراء؟
مرحباً يا جسور يا نخل يا نهر
وأهلاً يا عشب... يا أفياء
كيف أحبابنا على ضفة النهر
وكيف البساط والندماء؟
كان عندي هنا أميرة حبي
ثم ضاعت أميرتي الحسناء
أين وجهه في الأعظمية حلو
لورأته تغار منه السماء
إنني السندباد.. مرزقه البحر
وعينا حبيبتى الميناء

مضغ الموج مركبي... وجبيني
ثقتيه العواصف الهوجاء
إن في داخلي عصوراً من الحزن
فهل إلى العراق التجاء؟
وأنا العاشق الكبير... ولكن
ليس تكفي دفاتري الزرقاء
يا حزينان، ما الذي فعل الشعر؟
وما الذي أعطى لنا الشعراء؟
الدواوين في يدينا طرُوحٌ
والتعبير كلها إنشاء
كل عام نأتي لسوق عكاظٍ
وعليها العمائم الخضراء

ونهز الرؤوس مثل الدرأويش
وبالنار تكتوي سـيـنـاء
كلّ عام نأتي... فهذا جريراً
يتغنى... وهذه الخنساء
لم نزل، لم نزل نمصمص قشراً
وفلسطين خضبتها الدماء
يا حزينان... أنت أكبر منا
وأبُّ أنت مالته أبناء
لو ملكنا بقيةً من إباء
لانتخينا... لكننا جبناء
يا عصور الملعقات ملنا
ومن الجسم قد يملّ الرداء

نصف أشعارنا نقوشٌ وماذا
ينفع النقش حين يهوي البناء؟
المقامات لعبنة... والحريري
حشيش.. والغول والعنقاء
ذبحتنا الفسيفساء عصوراً
والدمى والزخارف الباهاء
نرفض الشعر كيميائاً وسحراً
قتلتنا القصيدة الكيمياء
نرفض الشعر مسرحاً ملكياً
من كراسيه يحرم البسطاء
نرفض الشعر أن يكون حصاناً
يمتطيه الطغاة والأقوياء

نرفض الشعر عتمةً ورموزاً
كيف تستطيع أن ترى الظلماء؟
نرفض الشعر أرنباً خشبياً
لا طموح له ولا أهواء
نرفض الشعر في قهوة الشعر...
دخاناً أيامهم... وارتخاء
شعرنا اليوم حفر الشمس حفرأً
بيديه... فكل شيء مضاء
شعرنا اليوم هجمةً واكتشافاً
لا خطوط كوفية، وحاء
كل شعر معاصر ليس فيه
غضب العصر نملةً عرجاء

ما هو الشعر... حين يصبح فأراً
كسرة الخبز هممه والغذاء
القدائي وحده... يكتب الشعر
وكل الذي كتبناه هراء
إنه الكاتب الحقيقي للعصر
ونحن الحجاب والأجرا
عندما تبدأ البنادق بالعزف
تموت القصائد العصماء
مالنا؟ مالنا نلوم حزينان
وفي الإثم كنا شركاء
من هم الأبرياء؟ نحن جميعاً
حاملو عاره ولا استثناء

عقلنا، فكرنا، هزال أغانينا
رؤانا، أقوالنا الجوفاء
نثرنا، شعرنا، جرائمنا الصفرة
والحبر والحروف الإملاء
لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس
"وضاعت من قبلها" الحمراء
يا فلسطين، لا تزالين عطشى
وعلى الزيت نامت الصحراء
العباءات... كلها من حريز
والليالي رخيصة حمراء
يا فلسطين، لا تتادي عليهم
قد تساوى الأموات والأحياء

قتل النفط ما بهم من سجايا
ولقد يقتل الثري الثراء
يا فلسطين، لا تتادي قريشاً
فقريش ماتت بها الخيلاء
لا تتادي الرجال من عبد شمس
لا تتادي... لم يبق إلا النساء
ذروة الموت أن تموت المروءات
ويمشي إلى الوراء الـوراء
مرَّ عامان والغزاة مقيمون
وتاريخ أمـتي.. أشـلاء
مرَّ عامان.. والمسيح أسير
في أيديهم... ومريم العذراء

مرَّ عامان... والمآذن تبكي
والنواقيس كلها خرساء
أيُّها الراكعون في معبد الحرف
كفاننا الدور والإغماء
مَرَّقُوا جبة الدراويش عنكم
واخلعوا الصوف أيها الأتقياء
اتركوا أوليائنا بسلامٍ
أيّ أرضٍ أعادهم الأولياء؟
في فمي يا عراق... ماءٌ كثيرٌ
كيف يشكو من كان في فيه ماء؟

وجع الحرف رائعٌ... أو تشكو
للبياتين وردة حمراء
كل من قاتلوا بحرفٍ شجاع
ثم ماتوا... فإنهم شهداء
ويطبل الفداء شمساً علينا
ما عسانا نكون... لولا الفداء
من جراح المناضلين... ولدنا
ومن الجرح تولد الكيرياء
قبلهم، لم يكن هناك قبل
ابتداء التاريخ من يوم جاؤوا

هبطوا فوق أرضنا أنبياءً

بعد أن مات عندنا الأنبياء

أنقذوا ماء وجهنا يوم لاحوا

فأضياءت وجوهنا السوداء

منحونا إلى الحياة جـوازا

لم تكن قبلهم لنا أسماء

سلالات

مِنْ سُلالاتِ العِصافيرِ... أنا
لا سُلالاتِ الشَجَرِ
وشراييني امتدادٌ لشرايينِ القَمَرِ
إنني أأخزنُ كالأسماءِ في عينيَّ
ألوانَ الصواري،
ومواقيتَ السَفَرِ
أنا لا أُشبهُ إلاَّ صُورتي
فلماذا شَبَّهوني بَعَمْرٍ؟

كان الشاعر

كان الشَّاعِرُ يَأْكُلُ من أَوْرَاقِ الوَرْدِ،
وكانَ يَنامُ بِأَحْضانِ الصَّفْصَافِ
ثمَ أتى عَصْرٌ عَرَبِيٌّ
صارَ الشَّاعِرُ فِيهِ،
يَنامُ بِأَحْضانِ السَّيِّافِ...

إيضاح إلى قراء شعري

ويقول عنِّي الأغباء
إنِّي دخلت إلى مقاصير النساء... وما خرجت
ويطالبون بنصب مشنقتي.. لأنني
عن شؤون حبيبتي... شعراً كتبت...
أنا لم أتاجر - مثل غيري - بالحشيش
ولا سرقت... ولا قتلت...
لكنتي.. أحببت في وضح النهار...
فهل تراني قد كفرت؟؟

ويقول عنِّي الأغباء
إنني بأشعاري، خرجت على تعاليم السماء

من قال إن الحب عدوان على شرف السماء؟
إن السماء صديقتي
تبكي إذا أبكي... وتضحك إن ضحكت
وتزيد أنجمها بريقاً
إن أنا يوماً عشقت
ماذا... إذا غنيت باسم حبيبتي؟
وزرعتها في كل عاصمة
كغابة كستناء

سأظل أحترف المحبة.. مثل كل الأنبياء...
وأظل أحترف الطفولة، والبراءة والنقاء
وأظل أكتب عن شؤون حبيبتي
حتى أذوب شعرها الذهبي... في ذهب المساء
وأنا - وأرجو أن أظل كما أنا...
طفلاً يخرّبش فوق حيطان النجوم كما يشاء

حتى يصير الحب في وطني بمرتبة الهواء
وأصبح قاموساً لطلاب الهوى
وأصير فوق شفاههم
ألفاً وباء...

**ترصيع بالذهب
على سيف دمشق**

أتراها تُحِبُّ بني ميسون...؟
أم توهمت والنساء ظنونُ
كم رسول أرسلته لأبيها
ذبحته تحت النقاب العيونُ
يا بنّة العمِّ... والهوى أمويُّ
كيف أخفي الهوى وكيف أبينُ
كم قتلنا في عشقنا وبعثنا
بعد موت وما علينا يمينُ

ما وقوفي في الديار وقلبي
كجيني قد طرزه الغصون
لا ظباء الحمى رددن سَلَامِي
والخلاخيلُ مالهن رنينُ
هل مرايا دمشق تعرف وجهي
من جديد أم غيرتني السنين؟
يا زماناً في الصالحية سمحاً
أين مني الغوى وأين الفتون؟
يا سريري ويا شرشف أُمِّي
يا عصافير... يا شذا، يا غصون
يا زوارب حارتي... خبئيني
بين جفنيك فالزمان ضنينُ

واعذريني إن بدوت حزينا
إن وجه المحب وجه حزين
هاهي الشام بعد فرقة دهر
أنهر سبعة.. وحوور عين
النوافير في البيوت ككلام
والعناقيد سكر مطحون
والسماء الزرقاء دفتر شعر
والحروف التي عليه... سنونو
هل دمشق كما يقولون كانت
حين في الليل فكّر الياسمين
آه يا شام... كيف أشرح ما بي
وأنا فيك دائماً مسكون

سامحيني إن لم أكشفك بالعشق
فأحلى ما في الهوى التضمينُ
نحن أسرى معاً وفي قفص الحب
يعاني السجن والمسجونُ
يا دمشقُ التي تقمصتُ فيها
هل أنا السَّرو.. أم أنا الشربين؟
أم أنا الفلُّ في أباريق أمي
أم أنا العشبُ والسحابُ الهتون
أم أنا القطرة الأثيرة في الدار...
تُلبّي إذا دعاهما الحنين؟
يا دمشقُ التي تفسّى شذاها...
تحت جلدي... كأنه الزيفونُ

سامحيني إذا اضطريت فإني
لا مقفئاً حبي ولا موزونُ
وازرعيني تحتَ الضفائر مشطاً...
فأريك الغرام كيف يكونُ
قادمٌ من مدائن الريح وحدي
فاحتضني، كالطفل، يا قاسيونُ
احتضني... ولا تتأقشُ جنوني
ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ
أهي مجنونة بشوقي إليها
هذه الشام، أم أنا المجنون؟
حاملٌ حبهما ثلاثين قرناً...
فوق ظهري وما هناك معينُ

كَلِمَا جَنَّتْهَا أَرْدُ دُيُونِي
لِلجَمِيلَاتِ حَاصِرَتْنِي الدُّيُونُ
إِنْ تَخَلَّتْ كُلُّ الْمُقَادِيرِ عَنِّي
فَبِعَيْنِي حَبِيبَتِي أَسْتَعِينُ
يَا إِلَهِي جَعَلْتَ عَشْقِي بَحْرًا...
أَحْرَامًا عَلَى الْبَحَارِ السُّكُونُ
يَا إِلَهِي هَلِ الْكِتَابَةُ جَرْحٌ
لَيْسَ يُشْفَى أَمْ مَارِدٌ مَلْعُونُ
كَمْ أَعَانِي فِي الشُّعْرِ مَوْتًا جَمِيلًا..
وَتُعَانِي مِنَ الرِّيَاحِ السُّفِينُ
جَاءَ تَشْرِينُ يَا حَبِيبَةَ عَمْرِي...
أَحْسِنُ الْوَقْتَ لِلهُوَى تَشْرِينُ

ولنا موعدٌ على (جبل الشيخ)
كم الثلج دافئ... وحنونٌ
لم أعانقك من زمان طويل...
لم أهدئك.. والحديث شجونٌ
لم أغازلـك والتغزلُ بعضي...
للـهوى ديثُهُ... وللـسيف دينُ
سَنواتٌ سبعٌ من الحزن مرَّت...
ماتَ فيها الصفا والزيونُ
شام.. يا شام.. يا أميرة حبي...
كيف ينسى غرامَهُ المجنون؟
أوقدي النار فالحديثُ طويلٌ...
وطويل لمن نحب الحنين

شمس غرناطة أطلت علينا
بعد يأسٍ وزغردت ميسلون
جاء تشرين.. إنَّ وجهك أحلى
بكثير.. ما سره تشرين؟
كيف صارت سنابلُ القمحِ أعلى
كيف صارت عيناك بيتَ السنونو؟
إنَّ أرضَ الجولان تشبه عينيك
فمَاءٌ يجري.. ولَوُزٌ... وتينٌ
كل جرحٍ فيها... حديقةٌ ورد
وربيعٌ... ولؤلؤٌ مكنونٌ
يا دمشق البسي دموعي سواراً
وتمني... فكل شيءٍ يهون

وَضَعِي طَرْحَةَ الْعُرُوسِ لِأَجْلِي
إِنَّ مَهْرَ الْمَنَاضِلَاتِ ثَمِينُ
رَضِيَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ عَنِ الشَّامِ...
فَنَصَّرَاتٍ، وَفَتَحَ مَبِينُ
اسْتَرَدَّتْ أَيَّامَهَا بِكَ بَدْرٌ..
وَاسْتَعَادَتْ شَبَابَهَا حَطِينُ
بِكَ عَزَّتْ قَرِيشٌ بَعْدَ هَوَانِ...
وَتَلَاقَتِ قِبَائِلٌ وَبَطُونُ
إِنْ عَمَرُوا بَنَ الْعَاصِ يَزْحَفُ لِلشَّرْقِ...
وَلِلْغَرِبِ يَزْحَفُ الْمَأْمُونُ
كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَكُونِي دَمَشَقًا..
بِكَ يَبْدَأُ وَيُنْتَهِي التَّكْوِينُ

لا خيار أن يصبح البحرُ بحرًا
أو يختارُ صوتهُ الحسونُ
ذاك عُمُرُ السيفِ.. لا سيفٍ إلا...
دائنٌ، يا حبيبتي، أو مَدينُ
هزم الروم بعد سبع عجاف...
وتعافى وجداننا المطعونُ
وقتلنا العنقاء في /جبل الشيخ/
وألقى أضرأسهُ التنينُ
صدق السيفُ حاكماً وحكيماً
وحدهُ السيفُ، يا دمشقُ، اليقينُ
اسحبي الذيلَ يا قُطيرةَ المجد...
وكحل جفنيك يا حرمونُ

سَبَقَتْ ظَاهَهَا خِيُولُ هَشَامِ
وَأَفَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا السُّكَّانُ
عَلَّمِينَا فِقْهَ الْعَرُوبَةِ يَا شَام...
فَأَنْتِ الْبِيَانُ وَالتَّبِيِينُ
عَلَّمِينَا الْأَفْعَالَ قَدْ دَبَحْتَنَا
أَحْرَفُ الْجُرِّ وَالْكَلامُ الْعَجِينُ
عَلَّمِينَا قِرَاءَةَ الْبَرْقِ وَالرَّعْد...
فَنَصَفُ اللُّغَاتِ وَحَلُّ وَطِينُ
وَطِنِي يَا قَصِيدَةَ النَّارِ وَالْوَرْد...
تَفَنَّنَتْ بِمَا صَنَعَتْ الْقُرُونُ
إِنْ نَهَرَ التَّارِيخُ يَنْبَعُ مِنَ الشَّام...
أَيُلْفِي التَّارِيخُ طَرْحَ هَجِينُ؟

نحن أصلُ الأشياء.. لا فورد باقٍ...
فوق إيوانه ولا رابينُ
نحن عكا ونحن كرمل حيفا
وجبال الجليل واللطرونُ
كل ليمونة ستجيب طفلاً
ومحال أن ينتهي الليمونُ
اركبي الشمس يا دمشق حصاناً
وليك الله.. حافظ وأمينُ

مواويل دمشقية إلى قمر بغداد

أيقظتني بلقيس في زرقة الفجر
وغنت من العراق مقاما
أرسلت شعُرها كنهـر (ديالي)
أرأيتـم شعراً يقول كلاما؟
كان في صوتها الرصافةُ والكرخُ
وشمسٌ.. وحنطةٌ... وخزامى
حَمَلتْ لي جرائد اليوم والشَّاي
وفاضت أمومة وابتساما
مالها زوجتي تطارحني الحب؟
وكان الهوى علينا حراما

لك عندي بشارةٌ يا حبيبي
فعل القوم / البعث / ما فعلنا تماما
ذكروني - قالت - بليلةٍ عرسي
ورفييفِ المنى، وظُرْفِ الندامى
قبل عصر التوحيد نحن اتحدنا
وجعلنا (راوا) دمشق الشّاما
أخذوا الحب والصبابة عنا
ونسوا أننا اخترعنا الغراما
إن يكونوا تَعَلَّمُوا لغة العشقِ
فنحنُ المتيمونُ القُدَامَى
التزامي أنا... بوجه حبيبي
أَو لَيْسَ الحُبُّ الكَبِيرُ التِّزاما؟
تهمة الحُبِّ لا تزال ورائي
لا رآني ربي أَرَدُ أتهاما
وتزوجت زوجتي من جديد
وضحكنا... وقبل كنا يتامى

يا شراعاً وراء دجلة يجري
اقترب... إنني أموت هياماً
لي على الشط نخله تيممتني
بهواها... فاقراً عليها السلاماً
كيف أنسى في (الأعظمية) ظيباً
أشعل النار في دمائي... وناماً
تلك بغداد... بعد عشر سنين
تلبس الماء والنجوم حزاماً
دجلة عاشق يزور دمشقاً
وكريم أتى يزور كراماً
إن كف المأمون في كف مروان
وماء الفرات صار مداماً
ليلة القدر، ما أراه أمامي
أم يكون الذي أراه مناماً
بابل ضوأت... وقبر علي
ترك الأرض واستحال غماماً

انتظرنا هذا الزفاف طويلاً
وشرينا دموعنا أعواماً
لا يريد المحبوب يأتي إلينا
لا.. ولا النوم قابلٌ أن يناما
حُلْمٌ مُدهِشٌ... أخاف عليه
فَلَكُمْ كَسْرُوا لَنَا أَحلامنا
بردى يا ابا النُّهُورِ جميعاً
يا حصاناً يسابق الأياما
كُنْ بتاريخنا الحزين نبياً
يتلقى من ربه الإلهاما
الملايين بايعتك أميراً
عريباً... فَصَلَّ فيها إماماً
وتزوج نَحْلَ العراقِ.. وَأُنْجِب
خالداً ثانياً... وَأُنْجِب هِشاماً..
يا عُيونَ المَهَا ببادية الشَّامِ
أطلبي.. هذا زمان الخُزَامِي

حَبَسُو كُنْ فِي الْخِيَامِ طَوِيلًا
فَعَزَلْنَا مِنَ الدَّمِوعِ خِيَامًا
وَاسْتَرَدُّوا (الْجَسْرَ الْمَعْلُقَ) مِنَّا
وَاسْتَرَدُّوا الْغُرُوبَ وَالْأَنْسَامَا
شَهِدَ اللَّهُ مَا حَنَّتْنَا بِوَعْدِهِ
أَوْ خَفَرْنَا لِمَنْ نَحَبُ الدِّمَامَا
غَيْرَ أَنْ الرِّيحَ هَبَّتْ عَلَيْنَا
وَرَمَتْنَا عَلَى الْخَلِيجِ حُطَامَا
عَلَّمُونَا أَنْ لَا نُحِبُّ... فَخَفْنَا
لَوْ فَعَلْنَا أَنْ نَسْتَحِيلَ رُخَامَا
وَاعْتَدَرْنَا عَنْ أَيِّ حُبِّ بَدِيلِ
وَرَفَضْنَا التَّخْوِيفَ وَالْإِرْغَامَا
كُلُّ هَذَا الْخِصَامِ كَانَ افْتِعَالًا
حِينَ يَقْوَى الْهَوَى يَصِيرُ خِصَامَا
يَكْبُرُ الْبِعْثُ حِينَ يَسْمُو عَلَى النَّفْسِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كِي يَتَسَامَى...

يا شذا (الرازقي) في ليل بغداد
عشقنا... فمن يرد السهاماً؟
يا سؤال الورد الدمشقي عني
يا حقولاً ركضت فيها غلاماً
سنوات عشر... نسيت حروفي
ودواتي... كما نسيت الكلام
ما كتبنا... وكيف يكتب شعراً
من يُعاني تمرُّقاً وانقساماً؟
سامح الله مَنْ على غير قصدٍ
سرقوا من طفولتي أعواماً
لي حبيبان... يملآن حياتي
أُتعباني تناقضاً وانسجاماً
لم نفرق ما بين بعثٍ وبعثٍ
كيف يرضى لُونُ السماء انقساماً؟
لم نفرق ما بين شعبي وشعبي
كيف يرضى لُونُ السماء انقساماً؟

وطنٌ واحدٌ... رسمناه قمحاً
ونخيلاً، وأنجماً، ويماماً
نينوى... البوكمال.. طرطوس.. حمصٌ
بابلٌ.. كربلاء.. رُدِّي السلاما
وطنٌ واحدٌ.. ولا كان شعري
لو يُفنى قبيلةً... أو نظاماً..
هل أتتك الأخبارُ يا مُتنبِي
أَنَّ كافرُك الأهراما
سقطت مصرُ في يدي قرويٌ
لم يجد ما يبيع إلا (التراما)
مسرحي الطموح.. يلبس وجهاً
للكوميديا... وثانياً للدراما
هو فاروق... شهوة وغروراً
والخديوي... تسلطاً وانتقاما
وعد الناس بالرحيق وبالشَّهْد
ولكن سقاهم الأوهاما

ساق من فكروا لمحكمة الأمن
وألقى المداد والأقلاما...
وظف النيل مستشاراً لديه
والملايين، ساقها أغناما
أضرم الناس في منازل عبس
وتميم، وأنكر الأرحاما...
عصبي.. يصيح في مصر كالديك...
وفي القدس يمسح الأقداما
جردوه من كل شيء... ولما
استهلكوه.. ألقوا إليه العظاما
مصر أم الدنيا.. وجزء من القلب
وليس السادات إلا مناما
وليس السادات إلا كابوسا
وليس السادات إلا للأمريكان عبدا وخداما
غير الثائرون خارطة الأرض
وشدوا من حولها الألغاما

واستفقتنا مع الذين استفاقوا

فأمنحونا حرّية... وطعاماً
لم تغيّر حضارة النفط ظفراً
من أظافرنا... ولا إبهاما
قد حبّلنا بالنفط.. دون زواج
ووضعنا، بعد المخاض سُخاماً..
زهر اللوز، في حدائق شيراز..
وأنتهى المعدّبون الصياماً..
هاهم الفرس قد أطاحوا بكسرى
بعد قهر... وزلزلوا الأصناما
شيعةً.. سنةً.. جياحاً.. عطاشاً
كسروا قيدهم... وفكّوا اللجاما
شاهُ مصرٍ.. يبيكي على شاهِ إيران
فأسوانٌ.. منزل لليتامى
والخميني.. يرفع الله سيفاً
ويهنئ النبي والإسلاما

هكذا تصبح الديانة... خلقاً
مستمراً.. وثورة، واقتحاماً
لن يكون العراق إلا عراقاً
وهشام العظيم يبقى هشاماً...

جريمة شرف أمام المحاكم العربية

- 1 -

وفقدت يا وطني البكارة
لم يكثرث أحد...
وسُجِّلت الجريمة ضد مجهولٍ
وأُرخيت الستاره
نسيت قبائلنا أظافرَها
تشابهت الأنوثة والذكورة في وظائفها
تحوّلت الخيول إلى حجارة...
لم تبقَ للأمواسِ فائدة...
ولا للقتلِ فائدة
فإنَّ اللحمَ قد فقد الإثارة..

- 2 -

دخلوا علينا...

كان عنتره يبيع حصانه بلفاقتي تبغ،

وقمصان مشجرة،

ومعجون جديد للحلاقة

كان عنتره يبيع الجاهلية.

دخلوا علينا

كان إخوان القتيلة يشربون /الجنّ/ بالليمون

يَصْطَافُونَ فِي لِبْنَانِ،

يرتاحون فِي أَسْوَانَ،

بيتاعونَ مِنْ /خَانِ الْخَلِيلِيّ/ الخواتم...

وَالْأَسَاوِرَ

وَالْعَيُونَ الْفَاطِمِيَّةَ...

- 3 -

ما زال يكتبُ شعرهُ العُذرى قيسُ
واليهود تسربوا لفراشِ ليلي العامريةُ
حتى كلابُ الحيِّ لم تتبعْ...
ولم تُطلقْ على الزاني رصاصةً بندقيةً...
/لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ/
ونحن ضاجعنا الغزاة ثلاثَ مرّاتٍ...
وضيّعنا العفافَ ثلاثَ مرّاتٍ...
وشيّعنا المروءةَ بالمراسمِ، والطقوسِ العسكريةِ
/لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ!/
ونحنُ غيرنا شهادتنا...
وأنكرنا علاقتنا...
وأحرقنا ملفاتِ القضيةِ...

- 4 -

الشمس تشرق مرةً أخرى...
وعمَّالُ النظافةِ يجمعون أصابعَ الموتى،
والعابَ الصَّغارُ...
الشمسُ تُشرقُ مرةً أخرى...
وذاكرةُ المدائنِ،
مثلُ ذاكرةِ البغايا والبهارِ
الشمسُ تشرقُ مرةً أخرى
وتمتلئُ المقاهي مرةً أخرى
ويحتدمُ الحوارُ
- إنَّ الجريمةَ عاطفيَّةُ
- إنَّ النساءَ جميعهنَّ مغامراتٌ، والشريعةُ
عندنا ضد الضَّحية...
- يا سادتي: إنَّ المخطَّطَ كلُّهُ من صنع أمريكا،

وبترولُ الخليج هو الأساسُ، وكلُّ ما يبقى
أمورٌ جانيه
- ملعونةٌ أمّ السياسة.. نحن نحبُّ أذنافور،
والوسكيَّ بالثلجِ المكسّر، والعطورَ الأجنبيةَّ
- إنَّ النساءَ بنصفِ عقلٍ، والشريعةُ عندنا ضدَّ
الضحية

- 5 -

العالمُ العربيُّ، يبلعُ حبةً /البثِ المباشرُ/..
/يا عيني عالصبرِ يا عيني عليه/
والعالمُ العربيُّ يضحكُ لليهودِ القادمين إليه
من تحتِ الأظافرِ...

- 6 -

يأتي حزيرانُ ويذهبُ...
والفرزدقُ يغررُ السكّينَ في رتّتيّ جريراً
والعالمُ العربيُّ شطرنجٌ..
وأحجارٌ مبعثرةٌ...
وأوراقٌ تطيرُ...
والخيلُ عطشى،
والقبائلُ تُسّجّارُ، فلا تُجيرُ...
"الناطقُ الرسمي يعلنُ أنه في السّاعة الأولى وخمس
دقائق..
شربَ اليهودُ الشّايَ في بيروتَ، وارتاحوا قليلاً في
فنادقها،
وعادوا للمراكبِ سالمينُ"
- لا شيءَ مثلَ /الجنّ/ بالليمون... في زمنِ
الحروبِ

- وأجملُ الأثداء، في اللمسِ، المليءُ

المستدير...

/الناطقُ الرسميُّ يعلنُ أنَّهم طافوا بأسواقِ

المدينة،

واشترُوا صُحُفاً وتفاحاً، وكانوا يرقصونَ

الجيركَ في حقدٍ،

ويغتالون كلَّ الراقصينُ/

- إنَّ السَّويديَّاتِ أحسنُ من يمارسنَ الهوى

- والجنسُ في استوكهولمَ يُشربُ كالنيبيذِ على

الموائد...

- الجنسُ يُقرأُ في السَّويدِ مع الجرائدِ

/الناطقُ الرسميُّ يعلنُ في بلاغٍ لاحقٍ،

أنَّ اليهودَ تزوجوا زوجاتنا، ومضوا بهنَّ...

فبالرفاهِ وبالبنينُ/

- 7 -

العالمُ العربيُّ غانيةٌ...
تنامُ على وسادةٍ ياسمينُ
فالحربُ من تقديرِ ربِّ العالمينُ
والسَّلْمُ من تقديرِ ربِّ العالمينُ

- 8 -

قررتُ يا وطني اغتياكَ بالسفَرُ
وحجرتُ تذكرتي،
وودَّعتُ السَّنابلَ، والجداولَ، والسَّجَرُ
وأخذتُ في جيبي تصاويرَ الحقولِ،
أخذتُ إمضاءَ القمرِ
وأخذتُ وَجَهَ حبيبتي
وأخذتُ رائحةَ المطرِ..
قلبي عليك.. وأنتَ يا وطني تنامُ على حَجَرٍ

يا سيدي الجمهور... إنني مستقيل
إن الرواية لا تُناسبني، وأثوابي مرفعة،
ودوري مستحيل..
لم يبق للإخراج فائدة...
ولا لمكبرات الصوت فائدة...
ولا للشعر فائدة، وأوزان الخليل
يا سيدي الجمهور.. سامحني...
إذا ضيقت ذاكرتي، وضيقت الكتابة والأصابع
ونسيت أسماء الشوارع...
إنني قتلتك، أيها الوطن الممدد...
فوق أختام البريد... وفوق أوراق الطابع...
إنني قتلتك... واكتشفت بأنني كنت القتل
يا سيدي الجمهور... سامحني
فدور مهرج السلطان... دور مستحيل

مرسوم بإقالة خالد بن الوليد

- 1 -

سرقوا منا الزمان العربي
سرقوا فاطمة الزهراء من بيت النبي
يا صلاح الدين
باعوا النسخة الأولى من القرآن
باعوا الحزن في عينيّ عليّ..
كشفوا في أحدٍ ظهر رسول الله...
باعوا الأنهر السبعة في الشام
وباعوا الياسمين الأموي
يا صلاح الدين
باعوك وباعونا جميعاً...
في المزاد العلني...

- 2 -

سرقوا منا الطموح العربي
عزلوا خالد في أعقاب فتح الشام
سموه سفيراً في جنيف
يلبس القبعة السوداء
يستمتع بالسيجار... والكافيار..
يرغي بالفرنسية..
يمشي بين شقراوات أوروبا..
كديك ورقي...
أتراهم دجّنوا هذا الأمير القرشي
هكذا تُخصى البطولات لدينا يا بني

- 3 -

سرقوا من طارق معطفه الأندلسي
أخذوا منه النياشين أقالوه من الجيش،
أحالوه إلى محكمة الأمن،
أدانوه بجُرم النصر
هل جاء زمان
صار فيه النصر محظوراً علينا يا بني؟
ثم هل جاء زمان؟
يقف السيف به متهماً
عند أبواب القضاء العسكري
ثم هل جاء زمان
فيه نستقبل إسرائيل بالورد.. وآلاف الحمائم
والنشيد الوطني
لم أعد أفهم شيئاً يا بني
لم أعد أفهم شيئاً يا بني
لم أعد أفهم شيئاً يا بني

- 4 -

رهنوا الشمس لدى كل المرابين،
وباعوا بالملاليم القمر..
كسروا سيف عمر...
شلقوا التاريخ من رجليه...
باعوا الخيل والكوفية البيضاء
باعوا أنجم الليل وأوراق الشجر...
سرقوا الكحل من العين
وباعوا في عيون البدويات الحور
أجهضونا قبل أن نحبل
أعطونا حبوباً
تمنع التاريخ أن ينجب أولاداً
وأعطونا لقاحاً
يمنع الشام بأن تصبح بغداداً...
وأعطونا حبوباً

تمنع الجرح الفلسطيني أن يصبح بستان نخيل
وماريجوانا... لقتل الخيل أو قتل الصهيل..
وسقونا من شراب
يجعل الإنسان من غير مواقف
ثم أعطونا مفاتيح الولايات
وسمونا ملوكاً للطوائف

- 5 -

يا صلاح الدين
هل تسمع تعليق الإذاعات
وهل تصغي إلى هذا البغاء العلني؟
أكلوا الطعم... وبالوا
فوق وجه العنفوان العربي
ما الذي يجري على المسرح؟
من يجذب خيطان الستار المخملي؟

من هو الكاتب؟ لا ندري
ولا الجمهور يدري.. يا بني!
إنهم خلف الكواليس..
وهم يفتصبون امرأة تدعى الوطن...
ويبيعون الخلاخيل برجليها...
يبيعون البساتين بعينيها...
يبيعون العصافير التي
تسكن في نافذة النهدين من بدء الزمن
ويبيعون بكأسين من الويسكي
أملاك الوطن...

- 6 -

سرقوا منا الزمان العربي
أطفأوا الجمر الذي يحرق صدر البدوي
علقوا لافتة للبيع على كل الجبال
سلموا الحنطة.. والزيتون.. والليل..

وعطر البرتقال

منعوا الأحلام أن تحلم... ساقوا

كل أنواع العصافير التي تكتب أشعاراً

إلى السجن... فهل جاء زمان؟

صار فيه كل من يحمل صندوق سلاح

كالذي يحمل صندوق حشيش.. يا بني

ثم هل جاء زمان؟

أصبح التحرير والتحذير فيه توءمين

ثم هل جاء زمان؟

أصبح الفعل به ضد اليدين

ثم هل جاء زمان؟

صار فيه الحرف ضد الشفتين

- 7 -

يا صلاح الدين
هذا زمن الردة
والمند الشعبي القوي
أحرقوا بيت أبي بكر...
وألقوا القبض في الليل على آل النبي
فشريفات قريش
صرن يغسلن صحون الأجنبي

- 8 -

يا صلاح الدين
ماذا تتفع الكلمة في هذا الزمان الباطني
ولماذا نكتب الشعر... وقد
نسي الله الكلام العربي؟؟

1977

اليوميات السرية لبهية المصرية

كان اسمه
كما يقال أنور السادات
كان اسمه المأساة
والعلم عند الله والرواة
وكان يمشي
خلف عبد الناصر العظيم
مثل الشاة
منحنياً... منكسراً نصفين
وشاحباً... وصامتاً... وزائغ العينين
وكان أقصى حلمه

في أول الثورة أن يهتمَّ بالحقائب
وأن يقول للرئيس آخر النكات

كنا نراه دائماً
يجلس في سيدنا الحسين
يستغفر الله
ويتلو سورة الرحمن
كنا نظنه أنه يرتل القرآن
لكنه فاجأنا... وأخرج التوراة

كنا نظن أنه
سيدخل القدس على حصانه
ويستعيد المسجد الأقصى من الأسر
ويدعو الناس للصلاة
لكنه فاجأنا
وسلم الأرض من النيل إلى الفرات

هل أصبحت راشيل في تاريخنا خديجة؟
وصار موسى.. أنور السادات
ويا للعجب

كان اسمه
من قبل أن يرتد عن شريعة الإسلام
محمداً... وصار أبراهام

كان اسمه سيدنا الشيخ
وكان دائم الصلاة والصيام
وكان في جبينه علامة
من كثرة الركوع والقيام
وكان كالأطفال يبكي
إن تذكر الرسول
أو جاء ذكر الله... ذي الجلال والإكرام

كان تقيا... ورعا
يخاف أن يدوس النمل
أو يروع الحمام
وكان أهل مصر يقصدونه
ليطرد الشيطان عن أولادهم
ويحمل الفول إلى صحنونهم
ويحمل الطعمية
لكنه فاجأنا
يلبس في نيويورك جبة الحاخام
ويقرأ القرآن بالعبرية
ويرفع الأذان بالعبرية
ويهدم الملك الذي اسمه هشام
ويغرس الخنجر في صدر بني أمية
فكيف يا سيدنا الإمام
من أجل عبرانية عشقتها
ذبحت أولادك في الظلام

وأهمهم بهيئة
ويا للعجب

كان اسمه عنتره
في سالف الزمان
ويدعي بأنه من تغلب
كان من قحطان
وأنه تعلم الدين على الشيخ أبي حنيفة
والشعر عن حسان
كان يقول أنه يؤمن بالحرية
والحب والإنسان
وأنه يعشق بنتاً حلوةً مثل القمر
يدعونها بهيئة
لكنه فاجأنا
من بعدما أعطاه عبد الناصر الأمان
فافترس الحرية

وافترس الإنسان
وطلق البنت التي يدعونها بهيئة
وحارب الأنصار والصحابة
وأرجع الأوثان
وارتد عن عبادة الله
إلى عبادة الشيطان
فكيف يا عنتر؟
أصبحت في جراحة صغيرة
حاييم... أو ناتان
وكيف في جراحة صغيرة؟
أصبحت مخصيا من الخصيان
ويا للعجب

كان اسمه
في المتحف المصري أخناتون
سحته سحنة أخناتون

جبهته جبهة أخناتون
لهجته لهجة أخناتون
وكان في أعماقه
أشياء من خوفو وفرعون
لكن عبد الناصر العظيم
ألبسه عباءة المأمون
فباعها
وأحرق العقال والكوفية
وأطلق النار من الخلف على ابن العاص
وأحرق الحنطة... والغلال
والبيادر الخصيبة
وأحرق العروبة
فكيف زوجوك با بهيئة؟
من ذلك المجنون
وكيف خدروك با بهيئة؟
بالخمر

والحشيش
والأفيون
وكيف أرغموك يا بهيَّة؟
أن تحملي الخمر إلى مليكهم داوود
وكيف علموك يا بهيَّة؟
أن تقرأي التلمود
وتصبحي راقصة في حارة اليهود
ويا للعجب

كان اسمه الفني
في مسارح المدينة
زوريا
وكان يعشق الظهور
وكان من أحلامه أن يصبح المطرب والعازف
والممثل المشهور
وكان يسمي نفسه

العزير
والعظيم
والقوي
والعلي
والقدير
والمعصوم
والغفور
وصانع العبور
كان اشتراكياً

يعيش عيشة الأباطرة
ويعشق السلطان
وعنده مزرعة كبيرة كبيرة
تعرف باسم القاهرة
وعنده... كل سرايات بني عثمان
كان/ترافولتا/ عصره
في روعة الرقص

وفي أناقة الخطوات
وكان شعيباً بأمريكا
وكان كوكب الشاشات
فكيف يا محمد... يا أنور السادات
من أجل عبرانية عشقتها
تغدر بالأحياء والأموات
وتدعي أن النبي مات
وكيف.. يا.. أنور المناساة
تصبح إسرائيل في طنطا
وفي بنها
وفي إيلات
ويا للعجب
يا مصر
يا قصيدة المياه، والجسور
والمآذن الوردية
يا زهرة اللوتس

يا كتابة زرقاء فاطمية
أيتها الصابرة، الصامته
الطيبة، النقيّة
أيتها القاهرة، المقهورة
الضعيفة، القوية
يا من يداها ذهب
وصوتها حرير
ماذا جرى؟
من بعد عبد الناصر الكبير
من مسح الحنة عن يديك يا بهية؟
من سرق النجوم من ليل العيون السود؟
ماذا جرى لجيمك الملحنة؟
والعسل المسكوب
من لهجتك المصرية
ماذا جرى؟
للكعك.. والأطفال... والموالد الشعبية

والحزن في الشوارع الخلفية
يا مصر
يا حبيبة ابن العاص
وعشقه الأول والأخير
لن يستطيع الرجل الصغير
أن يطفئ الشمس، وأن يزور القضية
فأنت مهما ضاقت الحياة
أو جاء كافور إلى الحكم، أو السادات
باقية في القلب با بهيئة
باقية في القلب با بهيئة
باقية في القلب با بهيئة

خمس رسائل إلى أمي

صباح الخير يا حلوه
صباح الخير يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولد الذي أبحر
برحلته الخرافية
وخبأ في حقائقه
صباح بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكل شقيقها الأحمر
وخبأ في ملبسه
طراييناً من النعناع والزعتر

وليلكة دمشقية...
أنا وحدي...
دخان سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير...
تفتش، بعد، عن بيدر
عرفت نساء أوروبا...
عرفت عواطف الإسمنت والخشب
عرفت حضارة التعب...
وطفتُ الهند، طفتُ السند، طفتُ العالم الأصفر
ولم أعر...
على امرأةٍ تمشط شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها...
إليَّ عرائس السكر
وتكسوني إذا أعرى

وتتشلني إذا أعثر
أيا أمي
أيا أمي
أنا الولد الذي أبحرُ
ولا زالت بخاطره
تعيش عروسة السكر
فكيف... فكيف يا أمي
غدوت أباً
ولم أكبر؟
صباح الخير من مدريد
ما أخبارها الفلة؟
بها أوصيك يا أمام...
تلك الطفلة الطفلة
فقد كانت أحبَّ حبيبةٍ لأبي...
يدلها كطفلته

ويدعوها إلى فنجان قهوته
ويسقيها
ويطعمها
ويغمرها برحمته...
... ومات أبي
ولا زالت تعيش بحلم عودته
وتبحث عنه في أرجاء غرفته
وتسأل عن عباةته
وتسأل عن جريدته
وتسأل - حين يأتي الصيف -
عن فيروز عينيه....
لتتشر فوق كفيه...
دنانياً من الذهب
سلامات...
سلامات....

إلى بيتِ سقانا الحب والرحمة
إلى أزهارك البيضاء.. فرحة "ساحة النجمة"
إلى تختي...
إلى كتيبي...
إلى أطفال حارتنا...
وحيطانٍ ملأناها...
بفوضى من كتابتنا...
إلى قططٍ كسولاتٍ
تتام على مشارقتنا
وليلكةٍ معرّشةٍ
على شباك جارتنا
مضى عامان يا أمي
ووجه دمشق،
عصفورٌ يخربش في جوانحنا
يعضُّ على ستائرنا

وينقرنا
برفقٍ من أصابعنا
مضى عامان يا أمي
وليل دمشقَ
فلّ دمشق
دور دمشق
تسكن في خواطرننا
مآذنها.. تضيء على مراكبنا
كأنّ مآذن الأمويّ...
قد زرعت بداخلنا...
كأن مشاتل التفاح...
تعبق في ضمائرنا
كأن الضوء، والأحجار
جاءت كلّها معنا...
أتى أيلول يا أماه...

وجاء الحزن يحمل لي هداياه
ويترك عند نافذتي
مدامعه وشكواه
أتى أيلول.. أين دمشق؟
أين أبي وعيناه
وأين حرير نظرتة؟
وأين عبير قهوته؟
سقى الرحمن مثواه....
وأين رحاب منزلنا الكبير...
وأين نعماه؟
وأين مدارج الشمشير
تضحك في زواياه
وأين طفولتي فيه؟
أجرجر ذيل قطته
وآكل من عريشته

وأقطف من بنفشاه

دمشق، دمشق...

يا شعراً

على حدقات أعيننا كتبناه

ويا طفلاً جميلاً...

من ضفائره صلبناه

جثونا عند ركبته...

وذبنا في محبته

إلى أن في محبتنا قتلناه...

إِيَّاهُ فِي يَوْمِ مِيلَادِهِ

أُلْقِيَتْ فِي يَنَايِرِ / كَانُونِ الثَّانِي / 1971 / بِمُنَاسِبَةِ
ذِكْرِ مِيلَادِ الرَّئِيسِ الْخَالِدِ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ، وَقَدْ
رَجَلَ عَنِ عَالَمِنَا....

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ، وَعَصْرُكَ أَخْضَرُ
وَذِكْرُكَ عَصْفُورٌ مِّنَ الْقَلْبِ يَنْفُرُ
مَلَأْنَا لَكَ الْأَقْدَاحَ... يَا مَنْ لُجْبِهِ
سَكَّرْنَا، كَمَا الصَّوْفِيُّ بِاللَّهِ يَسْكُرُ
دَخَلْتَ عَلَى تَارِيخِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ
فَرَائِحَةُ التَّارِيخِ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ
وَكُنْتَ... فَكَأَنْتَ فِي الْحَقُولِ سَنَابِلٌ
وَكَانَتْ عَصَافِيرٌ... وَكَانَ صُنُوبٌ

لَمَسْتَ أَمَانِينَا ، فَصَارَتْ جَدَاوِلًا
وَأَمْطَرْتَنَا حُبًّا ، وَلَا زَلْتَ تُمْطِرُ
تَأَخَّرْتَ.. عن وعد الهوى ، يا حبيبنا
وما كنتَ عن وعدِ الهوى تتأخَّرُ...
سهدنا وفكرنا ، وشاخت دُمُوعُنَا
وشابت لِيَالِينَا... وما كُنْتَ تحضُرُ
تُعَاوِدُنِي ذِكْرَكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ
ويورقُ فكري... حينَ فيكَ أفكرُ
وتأبى جِرَاحِي أن تَضُمَّ شِفَاهَهَا
كَأَنَّ جِرَاحَ الحُبِّ لَا تَتَخَيَّرُ...
أُحِبُّكَ.. لَا تَفْسِيرَ عِنْدِي لِصَبَوَتِي
أُفَسِّرُ مَاذَا؟ وَالْهَوَى لَا يُفَسِّرُ
تَأَخَّرْتَ يَا أَعْلَى الرِّجَالِ فَلْيُلْنَا
طَوِيلٌ ، وَأَضْوَاءُ القَنَادِيلِ تَسْهَرُ
تَأَخَّرْتَ.. فَالسَّاعَاتُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا

وَأَيَّامُنَا فِي بَعْضِهَا تَتَعَثَّرُ...
أَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا ، أَنْتَ عُمْرِنَا
وَأَنْتَ لَنَا الْمَهْدِيُّ ، أَنْتَ الْمَحْرَرُ
وَأَنْتَ أَبُو الثُّورَاتِ.. أَنْتَ وَقُودُهَا
وَأَنْتَ أَنْبَعَاثُ الْأَرْضِ. أَنْتَ التَّغْيِيرُ
تَضْيِقُ قُبُورَ الْمَيِّتِينَ بِمَنْ بَهَا...
وَيَوْمَ كُلِّ يَوْمٍ ، أَنْتَ فِي الْقَبْرِ تَكْبُرُ

تَأَخَّرْتَ عَنَّا... فَالْجِيَادُ حَزِينَةٌ
وَسَيْفُكَ مِنْ أَشْوَاقِهِ ، كَادَ يَكْفُرُ
حِصَانُكَ فِي سِينَاءَ ، يَشْرَبُ دَمْعَهُ
وَيَا لِعَذَابِ الْخَيْلِ إِذْ تَتَذَكَّرُ
وَرَايَاتُكَ الْخَضْرَاءُ تَمْضَعُ دَرِيهَا
وَفَوْقَكَ آلَافُ الْأَكَالِيلِ تُضْفَرُ

تَأخَّرْتَ عَنَا.. فَالْمَسِيحُ مَعْدَبٌ
هُنَاكَ، وَجِرْحُ الْمَجْدَلِيَّةِ أَحْمَرُ
نِسَاءُ فِلَسْطِينَ تَكْحَلْنَ بِالْأَسَى
وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ، قَاصِرَاتٌ وَقُصْرُ
وَلِيمُونَ يَافَا يَابَسٌ فِي حَقُولِهِ
وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظَّلَمِ يُزْهِرُ؟

رَفِيقُ صَلاَحِ الدِّينِ.. هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ
فَإِنَّ جِيُوشَ الرُّومِ تَنْهَى وَتَأْمُرُ
رَفَاقَكَ فِي الْأَعْوَارِ، شَدَّوْا سُرُوجَهُمْ
وَجَنْدُكَ فِي حَطِينٍ... صَلُّوا وَكَبَّرُوا...
تَغْنِي بِكَ الدُّنْيَا. كَأَنَّكَ طَارِقٌ
عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ.. يَرْسُو وَيُجْرُ
تُنَادِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَآذِنُ مَكَّةِ

وتبكيك بَدْرُ، يا حبيبي، وَخَيْبَرُ
ويبيكك صمصافُ الشَّامِ وورد
ويبيكك زهر الغُوطَتَيْنِ، ودُمْرُ

تعالَ إِلَيْنَا... فالمرءاتُ أَطْرَقَتْ
وموطنُ آبائي... زجاجُ مكسَّرُ
هُزِمْنَا.. وما زِلْنَا شَتَاتِ قِبَائِلِ
تعيش على الحقدِ الدَّفِينِ وتَنَأُرُ
يُحَاصِرُنَا كَالْمَوْتِ.. أَلْفُ خَلِيفَةٍ
ففي الشَّرْقِ هولاكو... وفي الغَرْبِ قَيْصَرُ
أبا خالدٍ.. أشكو إليكَ مواجعي
ومثلي له عُدْرٌ. ومثلكَ يَعْدُرُ
أنا شَجَرُ الأَحْزَانِ، أنزفُ دائماً
وفي التَّلْجِ، والأنواءِ، أُعطي وأُثْمِرُ
يثيرُ حزيرانُ جنوني ونقمتي

فَأَغْتَالُ أُوثَانِي.. وَأَبْكِي... وَأَكْفُرُ
وَأَذْبِحُ أَهْلَ الْكَهْفِ، فَوْقَ فِرَاشِهِمْ
جَمِيعاً... وَمِنْ بَوَابِ الْمَوْتِ أَعْبُرُ
وَأَتْرِكُ خَلْفِي... نَاقَتِي وَعِبَاءَتِي
وَأَمْشِي. أَنَا فِي رَقَبَةِ الشَّمْسِ خُنْجَرُ
وَأَصْرُخُ: يَا أَرْضَ الْخِرَافَاتِ. إِحْبِلِي
لَعَلَّ مَسِيحاً ثَانِياً... سَوْفَ يَظْهَرُ....

منشورات فدائية على جدران إسرائيل

لَنْ تَجْعَلُوا مِن شَعْبِنَا

شَعْبَ هُنُودِ حُمْرٍ...

فَنَحْنُ بِأَقْوَنَ هُنَا...

فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَلْبَسُ فِي مَعْصَمِهَا

أَسْوَارَةً مِنْ زَهْرٍ

فَهَذِهِ بِلَادُنَا...

فِيهَا وَجَدْنَا مِنْذَ فَجْرِ الْعَمْرِ

فِيهَا لَعِبْنَا، وَعَشَقْنَا، وَكَتَبْنَا الشُّعْرَ

مُشْرِشُونَ نَحْنُ فِي تَارِيخِهَا

فِي خَبْزِهَا الْمَرْقُوقِ، فِي زَيْتُونِهَا

فِي قَمْحِهَا الْمُصْفَرِّ

مُشْرِشُونَ نَحْنُ فِي وَجْدَانِهَا
بِقُونِ فِي آذَارِهَا
بِقُونِ فِي نَيْسَانِهَا
بِقُونِ كَالْحَفْرِ عَلَى صُلْبَانِهَا
بِقُونِ فِي نَبِيِّهَا الْكَرِيمِ، فِي قَرَانِهَا
وَفِي الْوَصَايَا الْعَشْرُ

- 2 -

لَا تَسْكُرُوا بِالنَّصْرِ...
إِذَا قَتَلْتُمْ خَالِدًا... فَسَوْفَ يَأْتِي عَمْرُو
وَإِنْ سَحَقْتُمْ وَرْدَةً...
فَسَوْفَ يَبْقَى الْعَطْرُ...

- 3 -

لَأَنَّ مُوسَى قَطَعَتْ يَدَاهُ...
وَلَمْ يُعَدَّ يُتَّقَنَنَّ فَنَّ السَّحْرُ...
لَأَنَّ مُوسَى كَسَبَتْ عَصَاهُ

وَلَمْ يَعدُ بوسعه شقَ مياهِ البحرِ
لأنَّكم لستم كأمرئيكأ... ولسنا كالهنود الحُمُرُ
فسوفَ تهلكونَ عن آخركمُ
فوقَ صحاري مِصرُ

- 4 -

المسجد الأقصى شهيدٌ جديدُ
نُضيفُهُ إلى الحساب العتيقُ
وليستَ النارُ، وليسَ الحريقُ
سوى قناديل نُضيءُ الطريقُ

- 5 -

مِن قَصَب الغاباتُ
نخرجُ كالجَنِّ لكم... من قَصَب الغاباتُ
مِن رُزَم البريدِ، من مقاعد الباصاتُ

مِنْ عُلْبِ الدخان، مِنْ صفائح البنزين، مِنْ شواهد
الأموات

من الطباشير، من الألواح، من صفائر النبات
من خشب الصلبان، من أوعية البخور، من أغطية
الصلاة

من ورق المصحف، نأتيكم...

من السطور، والآيات...

فنحن مبعوثون في الريح، وفي الماء، وفي النبات

ونحن معجونون بالألوان والأصوات...

لَنْ تُفْلِتُوا.. لَنْ تُفْلِتُوا

فكلُّ بيتٍ فيه بندقيَّةٌ

من ضفَّةِ النيلِ إلى الفراتِ...

- 6 -

لَنْ تستريحوا معنا...

كلُّ قتيلٍ عندنا

يموتُ ألفاً من المرَّاتِ....

- 7 -

انتبهوا... انتبهوا....
أعمدة النُّور لها أظافرٌ
وللسبابيك عيونٌ عَشْرُ
والموتُ في انتظاركم في كلِّ وجهٍ عابرٍ...
أو لَفْتَةٍ... أو خَصْرٍ
الموتُ مَخْبُوءٌ لَكُمْ، في مشط كلِّ امرأةٍ...
وَحُصْلَةٍ من شَعْرٍ

- 8 -

يا آلَ إِسْرَائِيلَ... لا يَأْخُذْكُمْ الغُرُورُ
عقاربُ السَّاعَةِ إن تَوَقَّعْتُمْ، لا بُدَّ أَنْ تَدُورُ
إِنَّ اغْتِصَابَ الأَرْضِ لا يُخِيفُنَا
فالرِّيشُ قد يَسْقُطُ عن أَجْنِحَةِ التَّسْوَرِ
والعَطَشُ الطَّوِيلُ لا يُخِيفُنَا
فالماءُ يَبْقَى دائماً في باطنِ الصَّخُورِ

هزمتُمُ الجيوشَ... إلا أنكم لم تهزموا الشعورُ
قطعتُمُ الأشجارَ من رؤوسها... وظلَّت الجذورُ.

- 9 -

ننصحكُم أن تقرأوا ما جاءَ في الزبورُ
ننصحكم أن تحملوا توراتكمُ
وتتبعوا نبيكم للطورُ
فما لكمُ خبزُ هنا... ولا لكمُ حضورُ
من باب كلِّ جامعٍ
من خلف كلِّ منبرٍ مكسورُ
سيخرجُ الحجَّاجُ ذات ليلةٍ... ويخرجُ المنصورُ.

- 10 -

انتظرونا دائماً...
في كلِّ ما لا يُنتظرُ
فنحنُ في كلِّ المطاراتِ، وفي كلِّ بطاقاتِ السَّفَرِ
نطلعُ في روما، وفي زوريخ، من تحت الحجرِ

نطلعُ من خلف التماثيل ، وأحواض الزُّهْر...
رجالُنَا يأتونَ دونَ موعد
في غَضَبِ الرعد ، وزخَّاتِ المطرِ
يأتونَ في عبَاءَةِ الرَسُولِ ، أو سيفِ عُمَرَ
نساؤُنَا... يرُسمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمعِ الشَّجَرِ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ ، بوجدانِ البَشَرِ
يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرضِ القَمَرِ

- 11 -

لقد سَرَقْتُمُ وطناً...
فصَفَّقَ العالِمُ للمُغامرَةِ
صَادَرْتُمُ الألوفَ من بيوتِنَا
وبعْتُمُ الألوفَ من أطفالِنَا
فَصَفَّقَ العالِمُ للسَّماسيرِ
سَرَقْتُمُ الزيتَ مِنَ الكِنائِسِ
سَرَقْتُمُ المسيحَ من مَنزِلِهِ في الناصِرَةِ

فَصَفَّقَ الْعَالَمُ لِلْمُعَاْمَرَةِ
وَتَتَصَبَّوْنَ مَا تَمَاءُ...
إِذَا خَطَفْنَا طَائِرَةً
تَذَكَّرُوا. تَذَكَّرُوا دَائِمًا
بِأَنَّ أَمْرِيكَ - عَلَى شَأْنِهَا -
لَيْسَتْ هِيَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ
وَأَنَّ أَمْرِيكَ - عَلَى بَأْسِهَا -
لَنْ تَمْنَعَ الطَّيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرَ
قَدْ يَقْتُلُ الْكَبِيرُ... بَارُودَةً
صَغِيرَةً... فِي يَدِ طِفْلِ صَغِيرٍ

- 13 -

مَا بَيْنَنَا... وَبَيْنَكُمْ... لَا يَنْتَهِي بَعَامُ
لَا يَنْتَهِي بِخَمْسَةِ... أَوْ عَشْرَةٍ.. وَلَا بِأَلْفِ عَامٍ
طَوِيلَةً مَعَارِكُ التَّحْرِيرِ كَالصِّيَامِ
وَنَحْنُ بَاقُونَ عَلَى صُدُورِكُمْ

كالنقش في الرخام...
بأقون في صوت المزاريب... وفي أجنحة الحمام
بأقون في ذاكرة الشمس، وفي دفاتر الأيام
بأقون في شيطنة الأولاد... في خربشة الأقلام
بأقون في الخرائط الملوّنة
بأقون في شعر امرئ القيس
وفي شعر أبي تمام...
بأقون في شفاه من نحبهم
بأقون في مخارج الكلام
مؤعدنا حين يجيء المغيّب
مؤعدنا القادم في تل أبيب
"نصر من الله، وفتح قريب"

- 15 -

ليس حزيناً سوى يوم من الزمان
وأجمل الورود ما ينبت في حديقة الأحران

- 16 -

للحزن أولاد سيكبرون...
للوجع الطويل أولاد سيكبرون
للأرض، للحارات، للأبواب، أولاد سيكبرون
وهؤلاء كلهم...
تجمعوا منذ ثلاثين سنة
في غرف التحقيق، في مراكز البوليس، في
السجون
تجمعوا كالدمع في العين
وهؤلاء كلهم...
في أي.. أي لحظة.
من كل أبواب فلسطين سيدخلون...

- 17 -

وجاء في كتابه تعالى:
بأنكم من مصر تخرجون

وأنتكم في تيهها، سوف تجوعون، وتعطشون
وأنتكم ستعبدون العجل دون ربكم
وأنتكم بنعمة الله عليكم سوف تكفرون
وفي المناشير التي يحملها رجالنا
زدنا على ما قاله تعالى
سَطْرَيْنِ آخِرَيْنِ
ومن ذرى الجولان تخرجون
وضفة الأردن تخرجون
بقوة السلاح تخرجون...

- 18 -

سوف يموت الأعور الدجال
سوف يموت الأعور الدجال
ونحن باقون هنا.. حدائقاً، وعطر برتقال
باقون فيما رسم الله على دفاتر الجبال
باقون في معاصر الزيت.. وفي الأنوال

في المدّ.. في الجَزْرِ.. وفي الشروق والزوال
بَاقُونَ في مراكب الصيد، وفي الأصداف،
والرمال
بَاقُونَ في قصائد الحُبِّ، وفي قصائد النضال
بَاقُونَ في الشعر، في الأزجال
بَاقُونَ في عطر المناديل....
وفي (الدبكة) و(الموأل)....

في القصص الشعبيّ، والأمثال
بَاقُونَ في الكوفية البيضاء، والعقال
بَاقُونَ في مروءة الخيل، وفي مروءة الخيال
بَاقُونَ في (المهباج) والبُنّ، وفي تحية الرجال للرجال
بَاقُونَ في معاطف الجنود، في الجراح، في السعال
بَاقُونَ في سنابل القمح، وفي نسائم الشمال
بَاقُونَ في الصليب...
بَاقُونَ في الهلاك..

فِى ثُورَةِ الطُّلَّابِ ، بَاقُونَ ، وَفِى مَعَاوِلِ العُمَّالِ
بَاقُونَ فِى خِوَاتِمِ الخُطْبَةِ ، فِى أُسْرَةِ الأَطْفَالِ
بَاقُونَ فِى الدِّمِوعِ...
بَاقُونَ فِى الأَمَالِ...

- 19 -

تَسْعُونَ مِليُوناً مِنَ الأَعْرَابِ خَلْفَ الأفْقِ غَاضِبُونَ
يَا وَيَلِكُكُمْ مِنْ تَأْرِهِمْ...
يَوْمَ مِنَ القَمِقمِ يَطْلَعُونَ...

- 20 -

لَأَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مَاتَ مِنْ زَمَانٍ
وَلَمْ يُعَدِّ فِي القِصْرِ غِلْمَانٌ ، وَلَا خِصْيَانٌ
لَأَنَّنا نَحْنُ قَتَلْنَاهُ ، وَأَطْعَمْنَاهُ لِلْحَيْتَانِ
لَأَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ لَمْ يُعَدِّ إِنْسَانٌ

لأنه من تخته الوثير لا يعرف ما القدس... وما
بيسان
فقد قطعنا رأسه، أمس، وعلقناه في بيسان
لأن هارون الرشيد أرنب جبان
فقد جعلنا قصره قيادة الأركان...

. 21 -

ظلّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبواب...
يشحذ خبز العدل من موائد الذئاب
ويشتكي عذابه للخالق التواب
وعندما... أخرج من إسطنبوله حصانه
وزيت البارودة الملقاة في السرداب
أصبح في مقدوره أن يبدأ الحساب...

- 22 -

نحنُ الذينَ نرسمُ الخريطةَ
ونرسمُ السفوحَ والهضابَ...
نحنُ الذينَ نبدأُ المحاكمةَ
ونفرضُ الثوابَ والعقابَ...

- 23 -

العربُ الذينَ كانوا عندكمُ مُصدري أحلامٍ
تحوّلوا بعدَ حزيرانَ إلى حقلٍ من الألغامِ
وانتقلتُ (هانوي) من مكانها...
وانتقلتُ فيتنامُ....

- 24 -

حدائقُ التاريخِ دوماً تزهرُ...
ففي ذرى الأوراسِ قد ماجَ الشقيقُ الأحمرُ

ويفي صحاري ليبيا... أوراق غصن أخضر...
والعرب الذين قلمت عنهم: تحجروا
تغيروا...
تغيروا...

- 25 -

أنا الفلسطيني بعد رحلة الضياع والسراب
أطلع كالعشب من الخراب
أضيء كالبرق على وجوهكم
أهطل كالسحاب
أطلع كل ليلة...
من فسحة الدار، ومن مقابض الأبواب
من ورق الثوت، ومن شجيرة اللبلاب
من بركة الدار، ومن ثرثرة المزاب
أطلع من صوت أبي...

من وجه أُمِّي الطيِّب الجدَّابُ
أطلعُ من كل العيون السود والأهدابُ
ومن شبائيك الحبيبات، ومن رسائل الأحابُ
أفتحُ بابَ منزلي.
أدخلُهُ. من غير أن أنتظرَ الجوابُ
لأنني أنا السؤالُ والجوابُ...

- 26 -

محاصرون أنتمُ بالحقْد والكرَاهيةُ
فمن هنا جيُّ أبي عبيدةُ
ومن هنا معاويةُ
سلامكم ممزقُ
وبيتكم مطوقُ
كبيتِ أيِّ زانيةُ

- 27 -

نأتي بكوفياتنا البيضاء والسوداء
نرسمُ فوق جلدكم إشارةَ الفداء
من رَحَمِ الأَيَّامِ نأتي كانبثاقِ الماءِ
من خيمةِ الدُّلِّ التي يعلكها الهواءُ
من وَجَعِ الحسينِ نأتي... من أَسَى فاطمة الزهراءِ
من أُحُدٍ نأتي... ومن بدرٍ... ومن أحزانِ كربلاءِ
نأتي لكي نصِّحُّ التاريخَ والأشياءِ
ونطمسَ الحروفَ...
في الشوارعِ العبريةِ الأسماءِ....

سَأَقُولُ لَكَ أَحِبُّكَ

سَأَقُولُ لَكَ "أَحِبُّكَ"..
حينَ تنتهي كلُّ لغاتِ العشقِ القديمه
فلا يبقى للعُشَّاقِ شيءٌ يقولونه... أو يفعلونه...
عندئذٍ ستبدأ مهمَّتي
في تَغْيِيرِ حجارةِ هذا العالمِ
وفي تَغْيِيرِ هُنْدَسَتِهِ
شجرةً بعدَ شجرةٍ
وكوكباً بعدَ كوكبٍ
وقصيدةً بعدَ قصيدةٍ

سَأَقُولُ لَكَ "أُحِبُّكَ" ...
وتضيقُ المسافةُ بينَ عَيْنَيْكَ وبينَ دِفَاتِرِي
ويُصْبِحُ الهَوَاءُ الَّذِي تَتَنَفَّسُ بِهِ يَمْرُ بَرْتِي أَنَا
وَتُصْبِحُ اليَدُ الَّتِي تَضَعِيهَا عَلَى مَقْعَدِ السَّيَّارَةِ
هي يَدِي أَنَا...
سَأَقُولُهَا ، عِنْدَمَا أَصْبِحُ قَادِرًا
عَلَى اسْتِحْضَارِ طِفُولَتِي ، وَخِيُولِي... وَعَسَاكِرِي
وَمِرَاكِبِي الْوَرَقِيَّةِ...
وَاسْتِعَادَةِ الرَّمَنِ الْأَزْرَقِ مَعَكَ عَلَى شَوَاطِئِ بِيْرُوتْ...
حِينَ كُنْتَ تَرْتَعِشِينَ كَسْمَكَةَ بَيْنِ أَصَابِعِي
فَأَغْطِيكِ ، عِنْدَمَا تَتَعَسَيْنُ...
بِشْرُشْفٍ مِنْ نَجُومِ الصَّيْفِ...

سَأَقُولُ لَكَ "أُحِبُّكَ"
وَسَنَابِلَ الْقَمْحِ حَتَّى تَتَضَجَّ.. بِحَاجَةِ إِلَيْكَ..
وَالْيَنَابِيْعِ حَتَّى تَتَفَجَّرَ..

والحضارة حتى تتحضر...
والعصافير حتى تتعلم الطيران...
والفراشات حتى تتعلم الرسم...

سَأَقُولُ لَكَ "أُحِبُّكَ"
عندما تسقط الحدودُ نهائياً بينك وبين القصيدة...
ويصبح النومُ على ورقةِ الكتابةِ
ليس الأمرُ سهلاً كما تتصورين...
خارجَ إيقاعاتِ الشعرِ..
ولا أن أدخلَ في حوارٍ مع جسدٍ لا أعرفُ أن
أتهجأه..
كلمةً كلمةً...
ومقطعاً مقطعاً...
إنني لا أعاني من عقدة المثقفين...
لكن طبيعتي ترفض الأجساد التي لا تتكلم
بذكاء...

والعيون التي لا تطرحُ الأسئلة...
إنَّ شَرَطَ الشَّهْوَةَ عِنْدِي، مَرْتَبِطٌ بِشَرَطِ الشُّعْرِ...
فَالرَّأَةُ قَصِيدَةٌ أَمُوتُ عِنْدَمَا أَكْتُبُهَا...
وَأَمُوتُ عِنْدَمَا أَسَاهَا...

سَأَقُولُ لَكَ "أُحِبُّكَ"
عِنْدَمَا أَبْرَأُ مِنْ حَالَةِ الْفَصَامِ الَّتِي تُمَرِّقُنِي...
وَأَعُودُ شَخِصًا وَاحِدًا...
سَأَقُولُهَا، عِنْدَمَا تَتَصَالِحُ الْمَدِينَةُ وَالصَّحْرَاءُ فِي
دَاخِلِي.
وَتَرْحَلُ كُلُّ الْقِبَائِلِ عَنِ شَوَاطِئِ دَمِي...
الَّذِي حَفَرَهُ حُكْمَاءُ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ فَوْقَ جَسَدِي...
الَّتِي جَرَّبَتْهَا عَلَى مَدَى ثَلَاثِينَ عَامًا...
فَشَوَّهَتْ دُكُورَتِي...
وَأَصْدَرْتَ حُكْمًا بِجِلْدِكَ ثَمَانِينَ جِلْدَةً..
بِتُهْمَةِ الْأُنُوثة...

لذلك لن أقول لك "أحبك" ... اليوم..
وربما لن أقولها غداً...
فالأرض تأخذ تسعة شهور لتطلع زهره...
والليل يتعذب كثيراً... ليولد نجمه...
والبشرية تنتظر ألاف السنوات.. لتطلع نبياً
فلماذا لا تنتظرين بعض الوقت
لتصبحي حبيبتي؟؟

أُحِبُّكَ أُحِبُّكَ والبقية تأتي

حديتك سجادةً فارسيَّة...
وعيناكِ عصفورتان دمشقيَّتان...
تطيران بين الجدار وبين الجدار...
وقلبي يُسافر مثل الحمامة فوق مياه يديك
ويأخذ قيلولَةً تحت ظل السَّوار..
وإني أُحِبُّكَ...
لكن أَخافُ التَّورطَ فيكَ،
أَخافُ التَّوحدَ فيكَ،
أَخافُ التَّقمصَ فيكَ،
فقد علَّمتني التَّجارب أن أتجنب عشق النِّساء،

وَمَوْجَ الْبِحَارِ...
أَنَا لَا أُنَاقِشُ حُبَّكَ... فَهُوَ نَهَارِي
وَلَسْتُ أُنَاقِشُ شَمْسَ النَّهَارِ
أَنَا لَا أُنَاقِشُ حُبَّكَ...
فَهُوَ يَقَرَّرُ فِي أَيِّ يَوْمٍ سِيَأْتِي... وَفِي أَيِّ يَوْمٍ سَيَذْهَبُ..
وَهُوَ يَحْدُدُ وَقْتَ الْحَوَارِ، وَشَكْلَ الْحَوَارِ...

دَعِينِي أَصَبُ لَكَ الشَّأْيَ،
أَنْتِ خِرَافِيَّةُ الْحَسَنِ هَذَا الصَّبَاحِ،
وَصَوْتُكَ نَقْشٌ جَمِيلٌ عَلَى ثَوْبٍ مَرَاكِشِيهِ
وَعَقْدُكَ يَلْعَبُ كَالطُّفْلِ تَحْتَ الْمَرَايَا
وَيِرْتَشِفُ الْمَاءَ مِنْ شَفَةِ الْمَزْهَرِيَّةِ
دَعِينِي أَصَبُ لَكَ الشَّأْيَ، هَلْ قَلْتِ إِنِّي أَحِبُّكَ؟
هَلْ قَلْتِ إِنِّي سَعِيدٌ لِأَنَّكَ جِئْتِ...
وَأَنَّ حَضُورَكَ يُسْعِدُ مِثْلَ حَضُورِ الْقَصِيدِ
وَمِثْلَ حَضُورِ الْمَرَاقِبِ، وَالذِّكْرِيَّاتِ الْبَعِيدِ..

دَعِينِي أُتْرَجِمُ بَعْضَ كَلَامِ الْمُقَاعِدِ وَهِيَ تَرْحُبُ
فِيكَ...
دَعِينِي، أُعَبِّرُ عَمَّا يَدُورُ بِبَالِ الْفَنَاجِينِ،
وَهِيَ تَفَكِّرُ فِي شَفَقَتِكَ...
وَبِالْمَلَاعِقِ، وَالسَّكْرِيهِ...
دَعِينِي أَضِيفُكَ حَرْفًا جَدِيدًا...
عَلَى أَحْرَفِ الْأَبْجَدِيَّةِ...
دَعِينِي أَنَا قَضِ نَفْسِي قَلِيلًا
وَأَجْمَعْ فِي الْحُبِّ بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَرَبْرِيَّةِ...

أُحِبُّكَ... حتى ترتفع السَّماءُ

كي أَسْتَعِيدَ عافيتي
وعافيةَ كلماتي...
وأخرج من حزام التَّلوثِ
الذي يلفُّ قلبي
فالأرض بدونك
كذبةٌ كبيرةٌ
وتفاحةٌ فاسدةٌ...

حتى أدخُلَ في دينِ الياسمينِ
وأُدافع عن حضارةِ الشُّعر...
وزرقةِ البحر...
واخضرارِ الغابات...

أُرِيدُ أَنْ أُحِبَّكَ
حتى أطمئن...
لا تزالُ بخير...
لا تزالُ بخير...
وأسماكُ الشُّعْرِ التي تَسْبِحُ في دمي
لا تَزَالُ بخير...

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ
حتى أَتَخَلَّصَ من يباسي...
ومُلُوحَتِي...
وتكلسُ أَصَابِعِي...
وفراشاتي الملوّنة
وقدرتي على البكاء...

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ
حَتَّى أَسْتَرْجِعَ تَفَاصِيلَ بَيْتِنَا الدَّمْشَقِيِّ
غُرْفَةً... غُرْفَةً
بِلَاطَةً... بِلَاطَةً...
حَمَامَةً... حَمَامَةً...
وَأَتَكَلَّمُ مَعَ خَمْسِينَ صَفِيحَةً فَلٌ
كَمَا يَسْتَعْرِضُ الصَّائِغُ

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ يَا سَيِّدَتِي
فِي زَمَنِ...
أَصْبَحُ فِيهِ الْحَبُّ مُعَاقًا...
وَاللُّغَةُ مُعَاقَةً...
وَكَتَبَ الشُّعْرُ، مُعَاقَةً..
فَلَا الْأَشْجَارُ قَادِرَةٌ عَلَى الْوُقُوفِ عَلَى قَدَمَيْهَا
وَلَا الْعَصَافِيرُ قَادِرَةٌ عَلَى اسْتِعْمَالِ أَجْنَحَتِهَا...
وَلَا النُّجُومُ قَادِرَةٌ عَلَى التَّنَقُّلِ

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ...
من غزلانِ الحرِّيَّةِ..
وآخر رسالةٍ
من رسائلِ المحبِّينِ
وتشتمُّ آخر قصيدةٍ
مكتوبةٍ باللغة العربيَّةِ...

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ...
قبل أن يصدُرَ مرسومٌ فاشستيّ
وأُرِيدُ أَنْ أَتَناولَ فنجاناً من القهوةِ معك..
وأُرِيدُ أَنْ أَجُلسَ معك لدقيقتين
قبل أن تسحبَ الشُّرطةَ السريَّةَ من تحتنا
الكراسي...
وأُرِيدُ أَنْ أُعانقَكَ...
قبل أن يُلقوا القبضَ على فمي... وذراعي
وأُرِيدُ أَنْ أبكي بين يديك...

قبل أن يفرضوا ضريبةً جمركيةً
على دموعي...
أريدُ أن أُحبُّك، يا سيِّدتي
وأُغَيِّرَ التَّقَاوِيمَ
وأُعيدَ تسميةَ الشُّهُورِ والأَيَّامِ
وأَضْبِطَ سَاعَاتِ العَالَمِ...
على إيقاعِ خطواتك
ورائحةِ عطرك...
التي تدخلُ إلى المقهى...
قبل دخولك...
إنِّي أُحِبُّك، يا سيِّدتي
دفاعاً عن حقِّ الفرس...
في أن تصهّلَ كما تشاء
وحقَّ المرأة... في أن تختارَ فارسها
كما تشاء
وحقَّ الشَّجْرةِ في أن تُغَيِّرَ أَوْرَاقَها

وَحَقُّ الشُّعُوبِ فِي أَنْ تُغَيَّرَ حُكَّامُهَا،
مَتَى تَشَاءُ...

أُرِيدُ أَنْ أُحِبُّكَ...
حَتَّى أُعِيدَ إِلَى بِيروتَ، رَأْسِهَا المَقْطُوعَ
وإِلَى بَحْرِهَا، مِعْطَفَهُ الأَزْرَقَ
وإِلَى شِعْرَائِهَا... دَفَاتِرَهُم المَحْتَرَقَةَ
أُرِيدُ أَنْ أُعِيدَ
لِتَشَايِكُ وَفَسْكَي... بِجَعْتِهِ البِيضَاءِ
وَلِبُولِ إيلِوَار - مَفَاتِيحِ بَارِيسَ
وَلِفَانِ كُوخ... زَهْرَةَ "دَوَّارِ الشَّمْسِ"
وَلَأْرَاغُونَ - "عِيُونَ إِنْزَا"
وَلِقَيْسِ بِنِ المَلُوحِّ...
أَمْشَاطُ لَيْلَى العَامِرِيَّةِ...

أريدُك أن تكوني حبيبي
حتى تنتصرَ القصيده...
على المسدس الكاتم للصوت...
وينتصر التلاميذ
وتنتصر الورده..
وتنتصر المكتبات...
على مصانع الأسلحة...

أريدُ أن أُحبُّك...
حتى أستعيد الأشياء التي تشبهين
والأشجار التي كانت تتبعني...
والقطط الشامية التي كانت تحرمشني
والكتابات... التي تكتبني...
أريدُ أن أفتح كلَّ الجوارير
التي كانت أُمي تخبئُ فيها...
خاتمَ زواجها...

ومسجتها الحجازية...

بقيت تحتفظ بها...

منذ يوم ولادتي...

كُلُّ شَيْءٍ يَا سَيِّدَتِي

دَخَلَ فِي (الْكُومَا)

فَالْأَقْمَارُ الصَّنَاعِيَّةُ

انْتَصَرَتْ عَلَى قَمَرِ الشُّعْرَاءِ

وَالْحَاسِبَاتُ الْإِلِكْتِرُونِيَّةُ

تَفَوَّقَتْ عَلَى نَشِيدِ الْإِنشَادِ...

وَبَابِلُو نِيرُودَا...

أُرِيدُ أَنْ أُحَبِّكَ، يَا سَيِّدَتِي...

قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ قَلْبِي...

قِطْعَةُ غِيَارٍ تَبَاعُ فِي الصِّيدَلِيَّاتِ

فَأَطِبَاءُ الْقُلُوبِ فِي "كَلِيفْلَانْد"

يصنعون القلوب بالجملة
كما تُصنع الأحذية
السَّماء يا سيِّدتي، أصبحت واطئةً...
والغيوم العالية...
أصبحت تتسكَّع على الأسفلت...
جمهورية أفلاطون
وشريعة حمورابي.
ووصايا الأنبياء.
وكلام الشعراء.
صارت دون مستوى البحر
لذلك نصحني السَّحرة، والمُنجمون،
ومشايخ الطُّرق الصُّوفية
أن أُحيِّك...
حتى ترتفع السَّماء قليلاً...

جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِد

الاسمُ: جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِدُ

رَقْمُ الرُّنْزَانَةِ: تِسْعُونَ

فِي السَّجْنِ الْحَرِيِّ بُوْهْرَانُ

وَالعَمْرُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ

عَيْنَانِ كَقَنْدِيلِي مَعْبَدُ

وَالشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْأَسْوَدُ

كَالصَيْفِ...

كَشَلَالِ الْأَحْزَانِ

إِبْرِيْقُ لَلْمَاءِ... وَسَجَانُ

وَيَدٌ تَتَضَمُّ عَلَى الْقُرْآنِ

وامرأة في ضوء الصُّبح
تَسْتَرْجِعُ في مِثْلِ البُوحِ
آياتِ مُحَرِّةِ الإِرْنَانِ
من سُورَةِ (مَرِيَمَ) و(الفَتْحِ)
الاسم: جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِدُ
اسمٌ مَكْتُوبٌ بِاللَّهَبِ...
مغموسٌ في جُرْحِ السُّحْبِ
في أدبِ بلادي... في أدبي...
العُمُرُ اثْنانِ وَعِشْرُونَ
في الصِّدْرِ اسْتَوْطِنَ زَوْجَ حَمَامٍ
والتغْرِ الرَّاقِدُ غُصْنُ سَلَامٍ
امرأةٌ من قُسْطَنْطِينَةَ
لم تعرف شَفَتَاهَا الزِينَةَ
لم تدخُلْ حَجَرَتَهَا الأحلام
لم تلعبُ أبداً كالأَطْفَالِ
لم تُغْرَمَ في عَقْدِ أو شالٍ

لم تُعْرِفِ كُنَسَاءَ فَرَنْسَا
أَقْبِيَةَ اللَّذَّةِ فِي (بِيغَالِ)
الاسْمُ: جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِدُ
أَجْمَلُ أُغْنِيَةِ فِي الْمَغْرِبِ
أَطْوَلُ نَحْلَهُ
لَمَحَتْهَا وَاحَاتُ الْمَغْرِبِ
أَجْمَلُ طِفْلَهُ
أَتَعَبَتِ الشَّمْسَ وَلَمْ تَتَّعِبْ
يَا رَبِّي. هَلْ تَحْتَ الْكُوكَبِ؟
يُوجَدُ إِنْسَانٌ
يَرْضَى أَنْ يَأْكُلَ... أَنْ يَشْرَبَ
مِنْ لَحْمِ مُجَاهِدَةٍ تُصَلِّبُ...

أَضْوَاءُ (الْبَاسْتِيلِ) ضَيْلَةٌ
وَسُعَالُ امْرَأَةٍ مَسْئُولَةٌ...
أَكَلْتُ مِنْ نَهْدِيهَا الْأَغْلَالَ

أَكَلَ الْأَنْذَالَ
(لاكوست) وآلافُ الْأَنْذَالَ
من جيشِ فرنسَا المَعْلُوبَةِ
انتصروا الآنَ على أُنتَى
أُنتَى... كَالشَّمْعَةِ مصلُوبَةٍ
الْقِيدُ يَعْضُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ
وسجائرُ تُطْفَأُ فِي النَهْدَيْنِ
وَدَمٌ فِي الْأَنْفِ... فِي الشَّفَتَيْنِ
وجراحُ جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِدُ
هي والتحريرُ على موعِدُ

مِقْصَلَةٌ تُنْصَبُ... والأشْرَارُ
يلهونَ بِأَنْثَى دُونَ إِزَارُ
وجميلةٌ بَيْنَ بِنَادِقِهِمْ
عصفورٌ فِي وَسَطِ الْأَمْطَارُ
الجَسَدُ الخَمْرِيُّ الْأَسْمَرُ

تتفضهُ لَمَسَاتُ التِّيَارِ
وحروقٌ في الثدي الأيسرُ
في الحَلْمَةِ
في .. في .. يا للعازُ...

الاسمُ: جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرَدُ
تاريخٌ.. ترويه بلادي
يحفظُهُ بعضُ أولادي
تاريخُ امرأةٍ من وَطَنِي
جَلَدَتْ مَقْصَلَةَ الْجَلَادِ
امرأةٌ دَوَّخَتِ الشَّمْسَا
جَرَحَتْ أَبْعَادَ الأَبْعَادِ...
ثائرةٌ من جَبَلِ الأَطْلَسِ
يَذْكُرُهَا اللَّيْلُ وَالنَّجْمُ
يَذْكُرُهَا... زَهْرُ الكَبَّادِ
ما أصغَرَ (جانُ دَارِك) فَرَنْسَا
في جانب (جانُ دَارِك) بلادي...

لو كُنتَ في مَدْرِيْدِ

لو كُنتَ في مَدْرِيْدِ في رَأْسِ السَّنَةِ
كُنَّا سَهْرُنَا وَحَدَّنَا
في حَائَةِ صَغِيرَةٍ
ليس بها سِوَانَا
تَبْحَثُ في ظِلَامِهَا عن بَعْضِهَا يَدَانَا
كُنَّا شَرِبْنَا الخَمَرَ في أَوْعِيَةٍ من الذَّهَبِ
كُنَّا اخْتَرَعْنَا - رِبْمَا - جَزِيرَهُ
أَحْجَارُهَا من الذَّهَبِ...
أَشْجَارُهَا من الذَّهَبِ...
تُتَوَجَّجِنُ فَوْقَهَا أَمِيرَهُ...

لو كُنْتُ فِي مَدْرِيْدَ فِي رَأْسِ السَّنَةِ
كُنَّا رَأَيْنَا... كَيْفَ فِي إِسْبَانِيَا
أَيُّهَا الصَّدِيقَةُ الْآثِيْرَةُ...
تَشْتَعْلُ الْحَرَائِقُ الْكَبِيْرَةَ
فِي الْأَعْيُنِ الْكَبِيْرَةَ...
كَيْفَ تَنَامُ الْوَرْدَةُ الْحَمْرَاءُ فِي الضَّفِيْرَةَ...
كُنَّا عَرَفْنَا لِدَّةَ الضِّيَاعِ فِي الشَّوَارِعِ...
وَجُوهُنَا تَحْتَ الْمَطْرِ
ثِيَابُنَا تَحْتَ الْمَطْرِ
كُنَّا رَأَيْنَا فِي مَغَارَاتِ الْعَجْرِ
كَيْفَ يَكُونُ الْهَمْسُ بِالْأَصَابِعِ...
وَالْبُوحُ وَالْعِتَابُ بِالْأَصَابِعِ...
وَكَيْفَ لِلْحَبِّ هُنَا... طَعْمُ الْبَهَارِ اللَّادِعِ...

لو كُنْتُ فِي مَدْرِيْدَ فِي رَأْسِ السَّنَةِ
كُنَّا ذَهَبْنَا آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْكَنِيسَةِ
كُنَّا حَمَلْنَا شَمْعَنَا وَزَيْتَنَا
لِسَيِّدِ السَّلَامِ وَالْمَحَبَّةِ...
كُنَّا شَكَوْنَا حَزَنَنَا إِلَيْهِ...
كُنَّا أَرْحَنَّا رَأْسَنَا لَدِيهِ...
لَعَلَّهُ فِي السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ...
أَيُّهَا الْحَبِيبَةُ الْبَعِيدَةُ...
يَجْمَعُنِي إِلَيْكَ بَعْدَ غُرْبَةٍ...
فِي مَنْزِلِ جُدْرَانِهِ مَحَبَّةً
وَحُبْرُهُ مَحَبَّةً...

لو كُنْتُ فِي مَدْرِيْدَ فِي رَأْسِ السَّنَةِ
كُنَّا مَلَأْنَا الْمَدْخَنَةَ...
عِرَائِسًا مَلَوْنَةً...
لِطِفْلَةٍ دَافِنَةِ الْعَيُونِ...

نعيشُ يا حبيبتى بوهمها...
من قبل أن تكون...
نبحثُ يا حبيبتى عن اسمها من قبل أن تكونُ
كُنَّا صنعنا نَحْتَهَا الصغِيرَ من ظنونُ
تختاً من الأحلام والقטיפَةِ الملوَّنةُ
تتأمُ فيه - ربَّما - بعد سنَّة...
...

أطفالُ الحجارة

بَهَرُوا الدُّنْيَا...

وَمَا فِي يَدِهِمْ إِلَّا الْحِجَارَةُ...

وَأَضَاؤُوا كَالْقَنَادِيلِ، وَجَاؤُوا كَالْبِشَارَةِ

قَاوَمُوا... وَانفَجَرُوا... وَاسْتَشْهَدُوا

وَبَقِينَا دُبَّابًا قَطِيبِيَّةً

صُفِّحَتْ أَجْسَادُهَا ضِدَّ الْحَرَارَةِ

قَاتَلُوا عَنَّا.. إِلَى أَنْ قُتِلُوا

وَجَلَسْنَا فِي مَقَاهِينَا... كَبِصَاقِ الْمَحَارَةِ

وَاحِدٌ... يَبْحَثُ مَتَى عَنْ تِجَارَةِ

وَاحِدٌ، يَطْلُبُ مِليَارًا جَدِيدًا...

وَزَوَّاجاً رَابِعاً..
وَنُهَوِّدًا صَقَلْتَهُنَّ الْحَضَارَةَ
واحد.. يَبْحَثُ فِي لَنْدَنَ عَنِ قَصْرِ مُنَيَّفِ
واحد.. يَعْمَلُ سِمَسَارَ سِلَاحٍ...
واحد.. يَطْلُبُ فِي الْبَارَاتِ ثَارَةً...
واحد.. يَبْحَثُ عَنِ عَرْشِ، وَجَيْشِ، وَإِمَارَةٍ...
آه... يَا جَيْلَ الْخِيَانَاتِ...
ويا جَيْلَ الْعُمَلَاتِ...
ويا جَيْلَ النِّفَايَاتِ...
ويا جَيْلَ الدِّعَارَةِ...
سَوْفَ يَجْتَاكُكَ - مَهْمَا أَبْطَأَ التَّارِيخُ -
أَطْفَالُ الْحِجَارَةِ

ثَمَنُ قِصَائِي

"لَقَدْ أَحْبَبْتُ شَاعِرًا"
وَتَمَضَعُ النِّسَاءُ فِي الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ...
قِصَّتَنَا الْعَظِيمَةَ...
وَيَرْفَعُ الرَّجَالُ فِي الْهَوَاءِ
قَبْضَاتِهِمْ... وَتُسْحَدُ الْفُؤُوسُ...
وَتُقْرَعُ الْكُؤُوسُ بِالْكَؤُوسِ...
كَأَنَّهَا... كَأَنَّهَا جَرِيمَةٌ...
بِأَنَّ تُحِبِّي شَاعِرًا...

فَرَأَشْتِي...
يَا لَيْتَ بَاسْتَطَاعَتِي

أن لا أكون شاعرا...
يا ليتني... أقدر أن أكون شيئا آخر
مُرابيا، أو سارقاً...
أو قاتلاً... أو تاجراً...
يا ليتني أكونُ يا صديقتي الحزينة...
لصاً على سفينة...
فربما تقبلني المدينة...
مدينة القصدير والصفيح، والحجر.
تلك التي سَمَاؤها لا تعرفُ المطر...
وخبزها اليومي... حقدٌ وضجر...
تلك التي... تطارد الحرف...
وتغتالُ القمر...
يا ليتَ باستطاعتي...
يا نجمتي، يا كرمتي، يا غابتي،
أن لا أكون شاعرا...
لكنما الشعرُ قدّر...

فكيف، يا لؤلؤتي ووأحتي...
أهربُ من هذا القدرِ؟..

النَّاسُ فِي بِلَادِنَا السَّعِيدَةِ...
لَا يَفْهَمُونَ الشَّاعِرَ...
يَرَوْنَهُ قَرِصَانًا بِهِ
يَقْتَنِصُ الْكَنُوزَ... وَالنِّسَاءَ... وَالْحِرَائِرَ
يَرَوْنَ فِيهِ سَاحِرًا...
يُحَوِّلُ النِّحَاسَ فِي دَقِيقَةٍ إِلَى ذَهَبٍ...
مَا أَصْعَبَ الْأَدَبُ!
فَالشَّعْرُ لَا يُقْرَأُ فِي بِلَادِنَا لِنَاتِهِ...
لِجَرْسِيهِ...
أَوْ عُمُقِهِ...
أَوْ مَحْتَوَى لِفِظَاتِهِ...
فَكُلُّ مَا يَهْمُنَا...
مِنْ شَعْرِ هَذَا الشَّاعِرِ...
مَا عَدَدُ النِّسَاءِ فِي حَيَاتِهِ؟

وَهَلْ لَهُ صَدِيقَةٌ جَدِيدَةٌ؟

فَالنَّاسُ...

يَقْرَأُونَ فِي بِلَادِنَا الْقَصِيدَةَ...

وَيَذَبْحُونَ صَاحِبَ الْقَصِيدَةَ...

أَعْطَيْتُ هَذَا الشَّرْقَ مِنْ قَصَائِدِي بِيَادِرًا

عَلَّتْ فِي سَمَائِهِ... النُّجُومَ وَالْجَوَاهِرَا

مَلَأْتُ يَا حَبِيبَتِي بِحُبِّهِ الدَّفَاتِرَا...

وَرِغْمَ مَا كَتَبْتُهُ

وَرِغْمَ مَا نَشَرْتُهُ

تَرْفُضُنِي الْمَدِينَةُ الْكَثِيبَةَ...

تِلْكَ الَّتِي سَمَاؤُهَا لَا تَعْرِفُ الْمَطْرَ...

وَخَبْرُهَا الْيَوْمِيُّ... حَقْدٌ وَضَجْرٌ...

تَرْفُضُنِي الْمَدِينَةُ الرَّهِيْبَةَ...

لَأَنْنِي... بِالشَّعْرِ يَا حَبِيبَةَ.

غَيَّرْتُ تَارِيخَ الْقَمَرِ..

قصة راشيل شوارزنبيرغ

أكتبُ للصغار...
للعربِ الصغار حيثُ يوجدونُ
لهمُ، على اختلافِ اللون... والأعمار... والعيون...
أكتبُ للذين سوفَ يُولدونُ...
لهمُ أنا أكتبُ... للصغار...
لأعينِ يركضُ في أحداقِها النهارُ
أكتبُ باختصارُ
قصة إرهابية مُجنَّدة...
يدعُونها راشيلُ
قضتْ سنينَ الحربِ في زنزانةٍ مُنفردةٍ

كالجُرْد... في زنانيةٍ مُنفردة...
شَيِّدها الألمانُ في براغ...
كان أبوها قدراً من أقدر اليهود...
يُزورُ النقود...
وهي تُديرُ منزلاً للفحش في براغ
يقصده الجنود...
وآلت الحربُ إلى ختام...
وأعلنَ السلامُ
ووقعَ الكبارُ
أربعةً يلقبونَ نفسَهُم كبارُ
صكَّ وجودَ الأمم المتحدة...
وأبحرتُ من شرق أوروبا مع الصباح
سفينةٌ تلعنُها الرياحُ
وجهتُها الجنوبُ
تغصُّ بالجُرذان... والطاعون... واليهودُ
كانوا خليطاً من سُقاطة الشعوب

مِنَ غَرْبِ بُولَنْدَا ،
مِنَ النَّمْسَا ، مِنِ إِسْتِمْبُولَ ، مِنِ بَرَاغٍ...
مِنَ آخِرِ الْأَرْضِ... مِنِ السَّعِيرِ
جَاؤُوا إِلَى مَوْطِنِنَا الصَّغِيرِ
مَوْطِنِنَا الْمُسَالِمِ الصَّغِيرِ
فَلَطَّخُوا ثُرَابِنَا
وَأَعْدَمُوا نِسَاءِنَا
وَيَتَّمُوا أَطْفَالِنَا
وَلَا تَزَالُ الْأُمَمُ الْمُتَّحِدَةُ...
وَلَمْ يَزَلْ مِيثَاقُهَا الْخَطِيرُ
يَبْحَثُ فِي حُرِيَّةِ الشُّعُوبِ
وَحَقِّ تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ
وَالْمَثَلِ الْمَجْرَدِ...
فَلْيَذْكُرِ الصِّغَارُ
الْعَرَبُ الصِّغَارُ حَيْثُ يُوجَدُونَ
مِنَ وُلْدِهَا مِنْهُمْ ، وَمِنَ سِيُولَدُونَ

قصة إرهابية مجنّدة
يدعونها راشيل
حلّت محلّ أمّي الممدّدة
في أرض بيّارتنا الخضراء في الخليل
أمّي أنا الذبيحة المُستشهدة...
وليدكر الصغار
حكاية الأرض التي ضيّعها الكبار
والأمم المتّحدة

أكتبُ للصغار
قصة بئر السبع، واللطرون، والجليل
وأختي القتيل
هناك في بيّارة الليمون، أختي القتيل
هل يذكر الليمون في الرملة
في اللد
وفي الخليل

أُختي التي علّقها اليهودُ في الأصيلُ
من شعرها الطويلُ
أُختي أنا نُوارُ
أُختي أنا الهتيكَةُ الإزارُ...
على ربي الرملة والجليلُ
أُختي التي ما زال جرحُها الطليلُ
ما زال بانتظارُ
نهارٍ تَأرٍ واحدٍ... نهارٍ تَأرٍ
على يد الصغارُ
جيلٍ فدائيٍّ من الصغارُ
يَعرف عن نُوارُ
وشعرِها الطويلُ
وقبرها الضائع في القفارُ
أكثرَ ممّا يَعرف الكبارُ...

أَكْتُبُ لِلصَّغَارِ
أَكْتُبُ عَنْ يَافَا، وَعَنْ مَرْفَئِهَا الْقَدِيمِ
عَنْ بُقْعَةٍ غَالِيَةِ الْحِجَارِ
يُضِيءُ بَرْتِقَالُهَا... كَخِيْمَةِ النُّجُومِ
تَضُمُّ قَبْرَ وَالِدِي... وَإِخْوَتِي الصَّغَارِ
هَلْ تَعْرِفُونَ وَالِدِي
وَإِخْوَتِي الصَّغَارِ؟
إِذْ كَانَ فِي يَافَا لَنَا
حَدِيقَةٌ... وَدَارُ
يَلْفُهَا النِّعِيمُ...
وَكَانَ وَالِدِي الرَّحِيمِ
مُزَارِعاً شَيْخاً، يَحِبُّ الشَّمْسَ وَالتَّرَابَ
وَاللَّهَ، وَالزَّيْتُونَ، وَالكَرُومَ
كَانَ يَحِبُّ زَوْجَهُ
وَبَيْتَهُ...
وَالشَّجَرَ الْمُثْقَلَ بِالنُّجُومِ

... وجاءَ أعرابٌ مع الغيابِ
من شرق أوروبا... ومن غياهب السجونِ
جاؤوا كفوجٍ جائعٍ من الذئابِ...
فَأَتَلَفُوا الثَمَارَ
وكسَّروا الغصونَ
وَأَشْعَلُوا النيرانَ في بيادر النجومِ
والخمسةُ الأطفالُ في وجومِ
والليلُ في وجومِ
واشتعلت في والدي كرامةُ الترابِ...
فصاحَ فيهم: اذهبوا إلى الجحيمِ
لَنْ تَسْلُبُوا أَرْضِي يَا سُلَالَةَ الكلابِ!
وَمَاتَ والدي الرحيمِ
بطلقةٍ سدَّها كلبٌ من الكلابِ
عليه، ماتَ والدي العظيمِ
في الموطنِ العظيمِ
وكفهُ مشدودةٌ شدًّا إلى الترابِ

فليذكر الصغارُ
العربُ الصغارُ حيث يوجدونُ
مَنْ وُلدوا مِنْهُمْ... وَمَنْ سيولدونُ
ما قيمةُ الترابِ
لأنَّ في انتظارهمْ
مَعْرَكَةَ الترابِ

الدُّخُولُ إِلَى هَيْرُوشِيمَا

مُبَلَّلٌ. مُبَلَّلٌ

قلبي، كمنديل سَفَرُ
كَطَائِرٍ... ظلُّ قرونًا ضائعاً تحت المطرِ...
زجاجة.. تدفعها الأمواجُ في بحرِ القَدَرِ
سَفِينَةٌ مثقوبةٌ تبحثُ عن حَلَاصِهَا،
تبحثُ عن شواطئٍ لا تُتَطَرُّ

قَلْبِي يَا صَدِيقَتِي!

مدينةٌ مغلقةٌ...

يَخَافُ أَنْ يَزُورَهَا ضَوْءُ الْقَمَرِ

يضجرُّ من ثيابه فيها الضجرُ...
أعمدة مكسورة، أرففة مهجورة
يغمرها الثلج وأوراق الشجر...

قبلك يا صغيرتي...
جاءت إلى مدينتي
جحافل الفرس وأفواج التتر
وجاءها أكثر من مغامر...
ثم انتحرت...
فحاذري أن تلمسي جدرانها
وحاذري أن تقربي أوثانها
فكلُّ من لامسها...
صار حَجَرًا...

مدينتي...
مالك من مدينتي؟

فليس في ساحاتها...
سوى الدُّبَابِ والحُفْرُ...
وليس في حياتها
سوى رفيقٍ واحدٍ...
هو الضَّجْرُ...

دكتوراه شرف في كيمياء الحجر

... يرمي حجراً
أو حجرين
يقطع أفعى إسرائيل إلى نصفين
يَمْضَعُ لحمَ الدَّبَّابَاتِ
... ويأتينا
.. من غير يدين
.. في لحظاتٍ
تظهرُ أرضٌ فوقَ الغيمِ
ويولدُ وطنٌ في العينينِ
.. في لحظاتٍ
.. تظهرُ حَيْفًا

.. تظهرُ يافا
تأتي غرَّةٌ في أمواجِ البحرِ
.. تضيءُ القدسُ
... كمنذنةٍ بين الشفتينِ
... يرسمُ فرساً
.. من ياقوتِ الفجرِ
.. ويدخلُ
كالإسكندرِ ذي القرنينِ
... يخلعُ أبوابَ التاريخِ
وينهي عصرَ الحشَّاشينِ
.. ويقفلُ سوقَ القوادينِ
... ويقطعُ أيدي المرتزقينِ
ويلقي تركةَ أهلِ الكهفِ
... عن الكتفينِ
في لحظاتٍ
.. تحبلُ أشجارُ الرِّيتونِ

... يدُرُّ حليبٌ في الثديينُ
يَرسُمُ أرضاً في طبريا
يَزرعُ فيها سُنبلتينُ
يَرسُمُ بيتاً فوقَ الكرملُ
.. يرسمُ أمّاً.. تَطحنُ بُناً عندَ البابِ
.. وفنجانينُ
وفي لحظاتٍ.. تهجمُ رائحةُ الليمونِ
ويولدُ وطنٌ في العينينِ
يرمي قمرًا من عينيه السوداوينِ
.. وقد يرمي قمرينُ
.. يرمي قلمًا
... يرمي كُتُبًا
... يرمي حبرًا
يرمي صمغًا
يرمي كَرَاساتِ الرسمِ
وفرشاةَ الألوانِ

.. "تَصْرُخُ مَرِيْمٌ": يَا وَالِدَاهُ
.. وتَأْخُذُه بَيْنَ الْأَحْضَانِ
يَسْقُطُ وُلْدٌ
فِي لِحْظَاتِ
يُوَلِّدُ آلَافَ الصَّبِيَّانِ
يَكْسِفُ قَمَرَ غَزَاوِيٍّ
... فِي لِحْظَاتِ
يَطْلَعُ قَمَرَ مَن بِيْسَانَ
يَدْخُلُ وَطْنَ لِلزَّنَانَةِ
... يُوَلِّدُ وَطْنَ فِي الْعَيْنِينَ
... يَنْفِضُ عَن نَعْلِيهِ الرَّمْلَ
وَتَدْخُلُ فِي مَمْلَكَةِ الْمَاءِ
.. يَفْتَحُ نَفْقًا آخَرَ
.. يُبْدِعُ زَمَنًا آخَرَ
.. يَكْتُبُ نَصًّا آخَرَ
.. يَكْسِرُ ذَاكِرَةَ الصَّحْرَاءِ

يقتلُ لغةً مستهلكةً
... منذُ الهمزة ... حتَّى الياءُ
.. يفتحُ ثقباً في القاموس
ويُعلنُ موتَ النحو... وموتَ الصرفِ
.. وموتَ قصائدنا العصماءِ
.. يرمي حجراً
بيداً وجهُ فلسطين
يتشكلُ مثلُ قصيدةٍ شعراً
يرمي الحجرَ الثاني
تطفو عكاً فوقَ الماءِ قصيدةٌ شعراً
يرمي الحجرَ الثالثَ
تطلعُ رامُ اللهُ بنفسجةً في ليلِ القهرِ
يرمي الحجرَ العاشرَ
... حتى يظهرَ وجهُ اللهِ
.. ويظهرُ نورَ الفجرِ
يرمي حجرَ الثورةِ

... حَتَّى يَسْقُطَ آخِرُ فَاشِسْتِي

من فاشستِ العصر

.. يَرْمِي

.. يَرْمِي

.. يَرْمِي

حتى يقلعَ نجمةَ داوودِ

بيديه

... ويرميها في البحرِ

تسألُ عنه الصحفُ الكبرى

أيُّ نبيِّ هذا القادمُ من كنعان؟

أيُّ صبيِّ؟

هذا الخارجُ من رحمِ الأحران؟

أيُّ نباتِ أسطوري

هذا الطالعُ من بين الجدران؟

أيُّ نهورٍ من ياقوتِ

فاضتُ من ورقِ القرآن؟

.. يَسْأَلُ عَنْهُ الْعَرَّافُونَ
.. وَيَسْأَلُ عَنْهُ الصُّوفِيُونَ
.. وَيَسْأَلُ عَنْهُ الْبُودِيُونَ
وَيَسْأَلُ عَنْهُ مَلُوكُ الْأَنْسِ
وَيَسْأَلُ عَنْهُ مَلُوكُ الْجَانِ
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّالِعُ
... مِثْلَ الْخَوْخِ الْأَحْمَرِ
مَنْ شَجَرِ النَّسِيَانِ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّافِشُ
... مِنْ صُورِ الْأَجْدَادِ
.. وَمَنْ كَذِبِ الْأَحْفَادِ
وَمَنْ سُرُوَالِ بَنِي قَحْطَانَ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْبَاحِثُ
... عَنْ أَزْهَارِ الْحُبِّ
وَعَنْ شَمْسِ الْإِنْسَانِ؟
.. مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْمَشْتَعِلُ الْعَيْنِينَ

كآلهة اليونان؟
.. يسألُ عنه المضطهدونَ
.. ويسألُ عنه المقموعونَ
ويسألُ عنه المنفيونَ
.. وتَسألُ عنه عصافيرُ خلف القضبان
... من هوَ هذا الآتي
من أوجاع الشمع
ومن كُتب الرُهبان؟
من هوَ هذا الولدُ
... التبدُّ في عينيه
بداياتُ الأكوان؟
من هو؟
هذا الولدُ الزراعُ
... قمحَ الثورةِ
في كلِّ مكان؟
يكتبُ عنه القصصيون

وَيَرَوِي قِصَّتَهُ الرُّكْبَانُ
من هو هذا الطفلُ الهاربُ من شللِ الأطفالِ
ومن سوسِ الكلماتِ؟
من هو؟
هذا الطافشُ من مَزِيلِهِ الصبر...
ومن لُغَةِ الأمواتِ؟
تَسْأَلُ صَحْفُ العالِمِ
كَيْفَ لَصْبِيٍّ مِثْلِ الوَرْدَةِ...
يَمْحُو العالِمُ بِالمِحَاةِ؟
تَسْأَلُ صَحْفُ فِي آمْرِيكََا
كَيْفَ لَصْبِيٍّ غَزَّأَوِيُّ
حِيفَاوِيُّ
عَكَأَوِيُّ
نَابَلْسِيُّ
يَقْلِبُ شَاحِنَةَ التَّارِيخِ،
وَيَكْسِرُ بِلُورِ التَّوْرَةِ؟؟؟

أبي...

أَمَاتَ أَبُوكَ؟

ضلالٌ... أنا لا يموتُ أبي

ففي البيتِ مِنْهُ..

روائحُ ربِّ، وذكرى نبي

هنا ركنه... تلكَ أشياءهُ

تَفَتَّقَ عن ألفِ غصنِ صبي

جَرِيدَتُهُ... تَبَغُّهُ... متكاهُ

كَأَنَّ أباي، بعدَ لم يَدْهَبِ...

وصحنُ الرمادِ، وفتجائهُ

على حالِهِ، بعدُ، لم يُشْرَبِ

ونظارتاهُ... أَيْسَلُو الزجاجَ

عيوناً ، أشفَّ من المغربِ
بقاياهُ ، في الحُجراتِ الفساحِ
بقايا النسور على الملعبِ
أجولُ الزوايا عليه ، فحيثُ
أمرٌ... أمرٌ على معشَبِ
أشدُّ يدِيه... أميلُ عليه
أُصلي على صدره المُتعبِ

أبي... لم يزل بيننا ، والحديثُ
حديثُ الكؤوس على المشربِ
يسامرُنا ، فالدوالي الحُبالي
تُوالدُ من ثغره الطيبِ...
أبي ، خيراً كان من جنَّةِ
ومعنى من الأرحبِ الأرحبِ
وعينا أبي... ملجأً للنجومِ
فهل يذكرُ الشرقُ عيني أبي؟

بذاكرة الصيف من والدي
كروم... وذاكرة الكوكب

أبي... يا أبي.. إن تاريخ طيب
وراءك يمشي، فلا تعتب
على اسمك يمضي.. فمن طيب
شهياً المجاني إلى أطيّب
حملتك في صحو عيني حتى
تهيأ للناس أي أبي...
أشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت... ولا زلت بي؟
إذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت ألف فم مذهب
فتحننا لتموز أبوابنا
ففي الصيف، لأبد، يأتي أبي

رسالة جندي في جبهة السويس

الرسالة الأولى

1956/10/29

يا والدي!
هذي الحروفُ الثائرةُ
تأتي إليك من السويسُ
تأتي إليك من السويسِ الصابرةُ
إنِّي أراها يا أبي، من خندقي، سفن اللصوصُ
محشودةً عند المضيقِ
هل عادَ قُطاعُ الطريقِ؟
يتسلقون جدارنا..
ويهددون بقاءنا...

فبلادُ آبائي حريقٌ..
إني أراهمُ، يا أبي، زُرُقَ العيونِ
سُودَ الضمائرِ، يا أبي، زُرُقَ العيونِ
قرصانُهُمُ، عَيْنُ من البللورِ جامدةُ الجفونِ
والجندُ في سطحِ السفينةِ... يشتمون.. ويسكرونُ
فرغتُ براميلُ النبيذِ.. ولا يزالُ الساقطونُ..
يتوعدونُ...

الرسالة الثانية

1956/10/30

هذي الرسالةُ، يا أبي، من بور سعيدِ
أمرٌ جديدٌ..
لكتيبتِ الأولى ببدءِ المعركةِ
هبطَ المظليون خلفَ خطوطنا..
أمرٌ جديدٌ...

هَبَطُوا كَأرْتالِ الجَرَادِ... كسِرْبِ غرِبانٍ مُبِيدٍ
النصفَ بعدَ الواحدِ...
وعليَّ أنْ أُنهيَ الرِسالَةَ
أنا ذاهبٌ لمَهْمَتِي
لأرُدَّ قِطاعَ الطريقِ... وسارِقِي حريَّتِي
لكَ... للجَميعِ تحيَّتي

الرسالة الثالثة

1956/10/31

الآنَ أفنيناَ فلولَ الهابطينَ
أَبتَاهُ، لو شَاهدتَهُمُ يتساقَطونَ
كثمارِ مِشمِشَةٍ عَجورُ
يتساقَطونَ...
يتأرجحونَ...
تحتَ المِظلالِ الطَيعينِ
مثلَ مشنوقٍ تدلَّى في سُكُونٍ

وينادقُ الشعبَ العظيم... تصيدهمُ
زُرَقَ العيونُ
لم يبقَ فلاحٌ على محراثه... إلا وجاءَ
لم يبقَ طفلٌ، يا أبي، إلا وجاءَ
لم تبقَ سيكِينٌ... ولا فأسٌ
ولا حجرٌ على كَتِفِ الطريق...
إلا وجاءَ
ليردُ قُطَاعَ الطريقِ
ليخطَّ حرفاً واحداً...
حرفاً بمِعرَكَةِ البقاءِ

الرسالة الرابعة

1956/11/1

مات الجرادُ

أبتاهُ، ماتتْ كلُّ أسرابِ الجرادِ
لم تبقَ سيِّدةٌ، ولا طفلٌ، ولا شيخٌ قعيدٌ

فِي الرِّيفِ، فِي المَدُنِ الكَبِيرَةِ، فِي الصَّعِيدِ
إِلَّا وَشَارِكْ، يَا أَبِي
فِي حَرَقِ أسْرَابِ الجِرَادِ
فِي سَحْقِهِ... فِي دَبْحِهِ حَتَّى الوَرِيدِ
هَذِي الرِّسَالَةُ، يَا أَبِي، مِنْ بَورِ سَعِيدِ
مِنْ حَيْثُ تَمْتَزَجُ البَطُولَةُ بِالجِرَاحِ وَبِالحَدِيدِ
مِنْ مَصْنَعِ الأَبْطَالِ، أَكْتُبُ يَا أَبِي
مِنْ بَورِ سَعِيدِ...

أربع رسائل ساذجة إلى بيروت

الرسالة الأولى

يا أصدقاء الحزن في بيروت:
كيف هي الأحوال؟
نُسالكم... ونحن ندري جيداً
سذاجة السؤال...
نُسالكم.
ونحن كالأيتام في جنازة الجمال

الرسالة الثانية

يا أصدقاء الجُرح، في بيروت
ألم تبيعوا قمرًا... لتشتروا زلزال؟
ألم تبيعوا السُحبَ الزرقاء...
والقلوع...
والرمال...
ألم تبيعوا الكرزَ الأحمرَ في غاباتكم
والزَعترَ البري...
والوَّزال؟
ألم تبيعوا؟
شجرَ الثُّفاح... والعصفور...
والتُّور... والشلال؟
ألم تبيعوا كُتبَ الشِعْرِ التي لديكم
وضحكةَ الأطفال؟

أَلَمْ تَتَّبِعُوا وَجَعَ النَّيَّاتِ فِي جُرُودِكُمْ
وَزُرْقَةَ الْمَوَالِ؟
أَلَمْ تَتَّبِعُوا جَنَّةً
كَيْ تَسْكُنُوا الْأَطْلَالَ؟

الرسالة الثالثة

يا أصدقاء الشعير، في بيروت
أَلَمْ تَتَّبِعُوا آخِرَ النُّجُومِ فِي سَمَائِكُمْ؟
أَلَمْ تَتَّبِعُوا
آخِرَ الْحُرُوفِ فِي أَسْمَائِكُمْ
أَلَمْ تَتَّبِعُوا؟
ما تبقى من حُلَى نِسَائِكُمْ
آخر خيطٍ من قميص الشعير؟

الرسالةُ الرَّابِعةُ

يا أصدقاء الصَّبْرِ، في بَيْرُوتِ
قُولُوا لَنَا:

في أَيِّ أَرْضٍ يَزْرَعُونَ الصَّبْرَ؟
قُولُوا لَنَا:

هل ممكِنٌ أن تَنْهَضَ الوَرْدَةُ مِنْ فِرَاشِهَا؟
وَيَسْتَفِيقَ العِطْرُ

هل ممكِنٌ أن تَرْجِعَ الحُرُوفُ مِنْ غُرْبَتِهَا؟
وَأَنْ يَفِيضَ الحَبْرُ

هل ممكِنٌ أَنْ نَسْتَعِيدَ عُمْرَنَا؟
من بَعْدِ مَا هُمْ شَطَبُوا

أَجْمَلَ سَطْرٍ فِي كِتَابِ العُمْرِ...

هوامش على دفتر النكسة

- 1 -

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم...
كلامنا المثقوب، كالأحذية القديمة...
ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمه
أنعي لكم... أنعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمه

- 2 -

مالحةٌ في فمنا القصاصد
مالحةٌ ضفائر النساء
والليلُ والأستارُ، والمقاعد
مالحةٌ أمامنا الأشياء

- 3 -

يا وَطَنِي الحزين
حوَّلْتَنِي بلحظةٍ
من شاعرٍ يكتبُ الحبَّ والحنين
لشاعرٍ يكتبُ بالسُّكين

- 4 -

لأنَّ ما نحسُّه أكبرُ من أوراقينا
لا بدَّ أن نخجلَ من أشعارنا

- 5 -

إذا خسرنا الحربَ لا غرابةُ
لأننا ندخلها
بكلُّ ما يملكُ الشرقيُّ من مواهبِ الخطابةِ
بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابةً
لأننا ندخلها...
بمنطق الطلبة والريابةِ

- 6 -

السُرِّي في مأساتنا
صراخنا أضخمُ من أصواتنا
وسيفنا أطولُ من قاماتنا

- 7 -

خُلاصَةُ الْقَضِيَّةِ
تَوْجِزُ فِي عِبَارِهِ
لَقَدْ لَبَسْنَا قَشْرَةَ الْحَضَارَةِ
وَالرُّوحَ جَاهِلِيَّةً....

- 8 -

بِالنَّايِّ وَالْمِزْمَارِ
لَا يَحْدُثُ انْتِصَارٌ

- 9 -

كَأَنَّآ ارْتَجَأْنَا
خَمْسِينَ أَلْفَ خِيْمَةٍ جَدِيدَةٍ

- 10 -

لا تلعنوا السماء
إذا تخلت عنكم...
لا تلعنوا الظروف
فإن الله يؤتي النصر من يشاء
وليس حدّاداً لديكم... يصنع السيوفُ

- 11 -

يوجعني أن أسمعَ الأنبياءَ في الصباحِ
يوجعني.. أن أسمعَ النباح...
يوجعني.. أن أسمعَ النباح...

- 12 -

ما دخل اليهود من حدودنا
وإنما...
تَسْرَبُوا كَالثَّمَلِ... من عيوننا

- 13 -

خمسة آلاف سنه...

ونحن في السرداب

ذقونا طويلاً

نقودنا مجهولة

عيوننا مرافئ الذباب

يا أصدقائي:

جربوا أن تكسروا الأبواب

أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثواب

يا أصدقائي:

جربوا أن تقرؤوا كتاب...

أن تكتبوا كتاب

أن تزرعوا الحروف، والرمان، والأعنان

أن تبجروا إلى بلاد الثلج والضباب

فالناس يجهلونكم... في خارج السرداب

الناس يحسبونكم نوعاً من الذئب...

- 14 -

جلودنا ميتة الإحساس
أرواحنا تشكو من الإفلاس
أيامنا تدور بين الزار، والشطرنج، والنعاس
هل نُحْنُ "خير أمةٍ قد أُخرجت للناس"؟...

- 15 -

كانَ بوسعِ نَفْطِنَا الدافِقِ بالصَحاري
أنَ يستحيلَ خنجرًا...
من لَهَبِ ونار...
لكنَّهُ...
وَحَجَلَةُ الأَشْرَافِ مِنْ قَرِيشِ
وَحَجَلَةُ الأَحْرَارِ مِنْ أَوْسِ وَمِنْ نِزَارِ
يُرَاقُ تَحْتَ أَرْجْلِ الجَوَارِي...

- 16 -

نركض في الشوارع
نحمل تحت إبطنا الحبالا...
نمارس السحل بلا تبصر
نُحطِّمُ الزجاج والأقفالا
نمدحُ كالضفادع
نشتُمُ كالضفادع
نجعلُ من أقزامنا أبطالاً....
نجعلُ من أشراقنا أنذاً...
نرتجلُ البطولةَ ارتجالاً....
نقعدُ في الجوامع...
تتأبلاً... كسالى
نشطر الأبيات، أو نُؤلف الأمثالا...
ونشحذ النصرَ على عدونا...
من عنده تعالى...

- 17 -

نريدُ جيلاً غاضباً...
نريدُ جيلاً يفلح الآفاق
ويَنكش التاريخ من جذوره....
وينكش الفكر من الأعماق
نريدُ جيلاً قادمًا
مُختلفَ الملامح...
لا يغفر الأخطاء... لا يسامح
لا ينحني...
لا يعرف النفاق....
نريدُ جيلاً...
رائداً....
عملاق...

- 18 -

يا أيُّها الأَطفال....

من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمال
وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغلال
ويقتل الأفيون في رؤوسنا...

ويقتل الخيال...

يا أيُّها الأَطفال أنتم - بعد - طَيِّبون

وطاهرون، كالندى والتَّلج، طاهرون
لا تقرُّوا عن جيلنا المهزوم يا أَطفال
فنحن خائبون...

ونحن، مثل قشرة البطيخ، تافهون

ونحن منخورون... منخورون كالنعال

لا تقرُّوا أخبارنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحن جيل القيء، والزَّهري، والسَّعال
ونحن جيل الدجل، والرقص على الحبال
يا أيُّها الأَطفال:
يا مطر الربيع ... يا سنابلَ الآمال
أنتم بذور الخصب في حياتنا العقيمه
وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة....

المهرون

- 1 -

سقطت آخر جدران الحياء.

وفرحنا... ورقصنا...

وتباركنا بتوقيع سلام الجبناء

لم يعد يرعبنا شيء...

ولا يُخجلنا شيء...

فقد يبست فينا عروق الكبرياء...

- 2 -

سقطت للمرة الخمسين عذريتنا...

دون أن نهتز... أو نصرخ...

أو يرعبنا مرأى الدماء...

ودخَلْنَا فِي زَمَانِ الْهَرَوَلَةِ....
ووقفنا بالطوابيرِ كأغنامِ أمامِ المقصلة.
وركَضْنَا... ولَهْتْنَا....

وتسابقنا لتقبيلِ حذاءِ القَتَلَةِ...

- 3 -

جوَّعُوا أطفالنا خمسينَ عاماً.
ورَمَوْا فِي آخِرِ الصَّوْمِ إلينا...

بَصَلَةَ...

- 4 -

سَقَطَتْ غِرْنَابِلَةٌ

- للمرةِ الخسَمِينَ - من أيدي العَرَبِ.

سَقَطَ التَّارِيخُ من أيدي العَرَبِ.

سَقَطَتْ أعمدةُ الرُّوحِ، وأفخادُ القبيلةِ.

سَقَطَتْ كُلُّ مواويلِ البَطُولَةِ.

سَقَطَتْ كُلُّ مواويلِ البَطُولَةِ.

سَقَطَتْ إِشْبِيلَةَ.
سَقَطَتْ أَنْطَالِيَةَ...
سَقَطَتْ حَطْلِينَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ...
سَقَطَتْ عَمُورِيَةَ...
سَقَطَتْ مَرِيْمُ فِي أَيْدِي الْمِيلِيشِيَاتِ
فَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْقُدُ الرَّمْزَ السَّمَاوِيَّ
وَلَا تَمَّ رُجُولَةٌ...

- 5 -

سَقَطَتْ آخِرُ مَحْظِيَّاتِنَا
فِي يَدِ الرُّومِ، فَعَنْ مَاذَا نُدَافِعُ؟
لَمْ يَعْذُ فِي قَصْرِنَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ
تَصْنَعُ الْقَهْوَةَ وَالْجِنْسَ...
فَعَنْ مَاذَا نُدَافِعُ؟؟؟

- 6 -

لم يُعَدُّ في يدِنَا
أندلسٌ واحدةٌ نملكها...
سَرَقُوا الأبوابَ
والحيطانَ والزوجاتِ، والأولادَ
والزيتونَ، والزيتَ
وأحجارَ الشوارعِ.
سَرَقُوا عيسى بنَ مريمَ
وهو ما زالَ رضيعاً...
سَرَقُوا ذاكرةَ الليمون...
والمشمش... والنعناعَ ميتاً...
وقناديلَ الجوامعِ...

- 7 -

تَرَكَوْا عُلْبَةَ سَرْدِينٍ بِأَيْدِينَا
تُسَمَّى (غَزَّةً)
عَظْمَةً يَابِسَةً تَدْعَى (أَرِيحَا)...
فُنَدَقًا يُدْعَى فِلَسْطِينَ
بِلا سَقْفٍ لآ أَعْمَدَةٍ...
تَرَكَوْنَا جَسَدًا دُونِ عِظَامٍ
وَيَدًا دُونِ أَصَابِعٍ

- 8 -

لَمْ يَعدُ نَمَّةٌ أَطْلَالَ لَكِي نَبْكَى عَلَيْهَا.
كَيْفَ تَبْكَى أُمَّةً
أَخَذُوا مِنْهَا الْمَدَامَعُ؟

- 9 -

بعد هذا الغزلِ السريِّ في أوْسُلُو
خرجنا عاقرين...
وهبونا وطناً أصغر من حبةِ قَمْحٍ...
وطناً نبلعه من غير ماء
كحبوب الأسبرين!!...

- 10 -

بعد خمسينَ سنةً...
نجلس الآن، على الأرضِ الخرابِ...
مَا لَنَا مَاوَى
كآلافِ الكلاب!!...

- 11 -

بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً
ما وَجَدْنَا وَطَنًا نَسْكُتُهُ إِلَّا السَّرَابُ...
ليس صُلْحًا
ذلك الصلحُ الذي أُدْخِلَ كالخنجرِ فينا...
إِنَّهُ فَعِلُ اغْتِصَابٍ!!!...

- 12 -

ما تُفِيدُ الهَرَوَلَةَ؟
ما تُفِيدُ الهَرَوَلَةَ؟
عندما يبقى ضميرُ الشعبِ حيًّا
كفَتِيلِ القنبلة...
لن تساوي كل توقيعاتِ أوسلُو...
خَرْدَلَةَ!!!...

- 13 -

كم حَلَمْنَا بِسَلَامٍ أَخْضَرَ...
وهَلَالٍ أَيْضٌ...
وبِبحرٍ أَرْزَقِ، وقلوعِ مرسَلَةٍ...
وجدنا فجأةً أَنفُسَنَا... فِي مَزبَلَةٍ!!...

- 14 -

من تُرى يسألهمُ عن سلامِ الجبناء؟
لا سلامِ الأقوياءِ القادرينُ.
من تُرى يسألهمُ
عن سلامِ البيعِ بالتقسيطِ...
والتأجيرِ بالتقسيطِ...
والصَفَقَاتِ
والتجارِ والمستثمرينِ؟...
من تُرى يسألهمُ
عن سلامِ الميِّتِينَ؟

أسكتوا الشارعَ
واغتالوا جميع الأسئلة...
وجميع السائلين....

- 15 -

وتزوّجنا بلا حُبٍّ...
من الأنثى التي ذاتَ يومٍ أكلت أولادنا...
مضغت أكبادنا...
وأخذناها إلى شهرِ العسل...
وسكرنا... ورقصنا...
واستعدنا كلَّ ما نحفظ من شعرِ الغزلِ
ثم أنجبنا لسوء الحظِّ أولاداً معاقينَ
لهم شكلُ الضفادع...
وتشرّدنا على أرصفةِ الحزنِ
فلا ثمة بلكِ نحضُّهُ...
أو من ولدٍ!!!

- 16 -

لم يكن في العرس رقصٌ عربيُّ
أو طعامٌ عربيُّ
أو غناءٌ عربيُّ
أو حياءٌ عربيُّ
فلقد غاب عن الرفقة أولاد البلد...

- 17 -

كان نصفُ المهرِ بالدولار...
كان الخاتمُ الماسيُّ بالدولار...
كانت أجرةُ المأذونِ بالدولار
والكعكةُ كانت هبةً من أمريكا...
وغطاءُ العرسِ، والأزهارُ، والشمعُ
وموسيقى المارينز...
كلُّها قد صُبغتُ في أمريكا!!!

- 18 -

وانتهى العرسُ...
ولم تحضُرْ فلسطينُ الفَرَحَ.
بل رأتْ صورتها مَبْثُوثَةً عبرَ كُلِّ الأَقْصِيَةِ...
ورأتْ دمعَها تُعبرُ أمواجَ المحيطِ...
نحو شيكاغو... وجيرسي... وميامي...
وهي مثلُ الطائرِ المذبوحِ تصرخُ:
ليسَ هذا الثوبُ ثوبي...
ليسَ هذا العارُ عاري...
أَبداً... يا أمريكا...
أَبداً... يا أمريكا...
أَبداً... يا أمريكا...

دعوة اصطياف للخامس من

حزيران

- 1 -

سنةٌ خامسةٌ... تأتي إلينا...
حاملاً كيسكَ فوقَ الظهرِ، حايفِ القدمينُ...
وعلى وجهكَ أحزانُ السماواتِ....
وأوجعُ الحسينِ...
سنلاقيك على كلِّ المطاراتِ... بباقاتِ الزهورِ
وسنحسو - نخبَ تشريفك - أنهارَ الخمورِ...
سنُغنيكَ أغانينا
ونُلقي أكذبَ الأشعار ما بينَ يديك...
وستعتادُ علينا...
مثلما اعتدنا عليكُ

- 2 -

نحن ندعوك لتصطافَ لدينا
مثلَ كلِّ السائحينِ
وسنعطيكَ جناحاً ملكياً
لكَ جهزناه من خمسِ سنينِ
سوف تستمتع بالليلِ... وأضواء النيون...
وبرقص الجيرك... والجاز.. وأفلام الشدوذ...
فَهُنَا...
لا نعرف الحزن... ولا من يحزنون...
سوف تلقى في بلادِي ما يسرُّكَ
شققاً مفروشةً للعاشقينِ
وكؤوساً نُضدَّت للشاربين...
وحريراً لأمير المؤمنين
فلماذا أنتَ مكسور الجناح؟

أُيُّهَا الزَّائِرُ ذُو الْوَجْهِ الْحَزِينِ...
وَلِدِينَا الْمَاءُ...
وَالْخَضْرَاءُ...
وَالْبَيْضُ الْمَلَّاحُ...
وَنَوَادِي اللَّيْلِ تَبْقَى عِنْدَنَا مَفْتُوحَةً حَتَّى الصَّبَاحِ
فَلِمَاذَا تَتَرَدَّدُ؟...
سَوْفَ نُنْسِيكَ فِلَسْطِينَ
وَنَسْتَأْصِلُ مِنْ عَيْنِكَ أَشْجَارَ الدَّمُوعِ...
(وَسَنُلْقِي سُورَةَ (الرَّحْمَنِ)
وَالْفَتْحِ)...
وَنَغْتَالِ يَسُوعَ...
وَسَنُعْطِيكَ جَوَازاً عَرَبِيًّا...
شُطِبَتْ مِنْهُ عِبَارَاتُ الرَّجُوعِ...

- 3 -

سنةٌ خامسةٌ....

سادسةٌ....

سابعةٌ....

ثامنةٌ....

تاسعةٌ....

عاشرةٌ....

ما تهْمُ السنوات؟

إنَّ كلَّ المدن الكبرى من النيل... إلى شطِّ الفراتِ

مالها ذاكرةٌ... أو ذكرياتٌ...

كلُّ من سافرَ في التيهِ نسيناهُ....

ومن قد ماتَ ماتٌ....

ما تهْمُ السنوات؟

نحنُ أعددنا الأكاليلَ، وهياًنا المناديلَ

وألّفنا جميعَ الكلماتِ

ونحتنا، قبل أُسبوع، رخامَ الشهاداتُ....
أيُّها الشرقُ الذي يأكلُ أوراقَ البلاغاتِ
ويمشي - كخروفٍ - خلفَ كلِّ اللافتاتِ....
أيُّها الشرقُ الذي يكتبُ أسماءَ ضحاياهِ....
على وجه المرآيا....
ويطون الراقصاتُ...
ما تهْمُ السنواتُ؟
ما تهْمُ السنواتُ؟

حوارٌ مع عربيٍّ أضعُ فرسه

- 1 -

لو كانت تسمعي الصحراء...

لطلبت إليها

أن تتوقف عن تفريخ ملايين الشعراء

وتحرّر هذا الشعب الطيبَ من سيف الكلمات

ما زلنا منذُ القرن السَّابع، نأكل ألياف الكلمات

نتزلق في صمغ الرّاءات

نتدحرجُ من أعلى الهاءات...

وننام على هجو جرير...

ونفיק على دمع الخنساء...

ما زلنا منذُ القرن السابع

خارج خارطة الأشياء...
نترقبُ عنتره العبسي...
يجيء على فرس بيضاء...
ليفرج عنا كربتنا...
ويرد طوابير الأعداء...
ما زلنا نقضم كالفئران...
مواعظ سادتنا الفقهاء...
(نقرأ (معروف الاسكافي)...
(ونقرأ (أخبار الندماء...
ونكات جُحا...
(وارجوع الشيخ...
(وقصة (داحس والغبراء
.... يا بلدي الطيب، يا بلدي...
الكلمة كانت عصفوراً...
وجعلنا منها...
سوق بغاء...

- 2 -

لو كانت نجدُ تسمعي
والربيعُ الخالي يسمعي
لختمتُ أنا بالشَّمعِ الأحمرِ سوقَ عكاظ...
وشنقتُ جميعَ النجَّارينَ
وكلَّ بياطرةِ الألفاظ...
ما زلنا منذُ ولادتنا
تسحقنا عجالاتُ الألفاظ
لو أعطى السُّلطةَ في وطني
لقلعتُ أصابعَ من صبغوا بالكلمةَ أحذيةَ
الخُلفاء...
وجلدتُ جميعَ المنتفعينَ بدينار
أو صحنَ حساءٍ
وجلدتُ الهمزةَ في لغتي...
وجلدتُ الياء...
وذبحتُ السينَ... وسوف...
وتاءَ التأنيثِ البلهاء...

والزخرفَ والخطَّ الكويِّ
وكلُّ الأعيبِ البلغاءِ....
وكنستُ غُبارَ فصاحتنا...
وجميعَ قصائدنا العصماءِ...
يا بلدي...
كيفَ تموتُ الخيلُ
ولا يبقى إلا الشعراءُ؟؟

- 3 -

لو أُعطى السلطنة في وطني
أعدمتُ جميعَ المنبطحينَ على أبوابِ مقاهينا
وقصصتُ لسانَ مغنينا
وفقأت عيونَ القمرِ الضاحكِ من أحزانِ ليالينا...
وكسرتُ زجاجتَهُ الخضراءِ....
وأرحتُكَ يا ليلَ بلادي....
من هذا الوحشِ الآكلِ من لحمِ البُسَطَاءِ

- 4 -

يا بلدي الطيب... يا بلدي
لو تشفُ آبارُ البترول... ويبقى الماء...
لو يُخصى كلُّ المنحرفين
وكلُّ سمسرة الأثداء...
لو تُلغى أجهزة التكييف... من الغرف الحمراء...
وتصير يواقيت التيجان...
نعالاً في أقدام الفقراء...
لو أملكُ كريباجاً بيدي
جرّدت قياصرة الصحراء من الأثواب الحضريّة...
ونزعتُ جميع خواتمهم...
ومحوتُ طلاء أظافرهم...
وسحقتُ الأحذية اللماعة
والساعات الذهبية
وأعدتُ حليب النوق لهم

وأعدتُ سروجَ الخيل لهم...
وأعدتُ لهم...
حتى الأسماءَ العربيَّةَ

- 5 -

لو يكتبُ في يافا الليمونُ... لأرسلَ آلافَ القبلاتُ
لو أنَّ بحيرةَ طبريا... تُعطينا بعضَ رسائلها...
لاحترقَ القارئُ والصفحاتُ...
لو أنَّ القدسَ لها شفةٌ... لاختقت في فمها
الصلواتُ...
لو أنَّ...
وما تُجدي (لو أنَّ)... ونحن نسافرُ في المساءُ
ونمدُّ إلى الأرضِ المحتلَّةِ... حبلاً شعريَّ الكلماتُ
ونمدُّ ليافا منديلاً طُرزَ بالدمع... وبالدهواتُ
يا بلدي الطيبَ... يا بلدي...
ذبحتكُ سكاكينَ الكلماتُ...

الحُبُّ والبُتْرُولُ

مَتَى تَفْهَمُ؟

مَتَى يَا سَيِّدِي تَفْهَمُ؟

بَأَنِّي لَسْتُ وَاحِدَةً كَغَيْرِي صَدِيقَاتِكَ
وَلَا فَتْحًا نَسَائِيًّا يَضَافُ إِلَى فُتُوحَاتِكَ
وَلَا رَقَمًا مِنَ الْأَرْقَامِ يَعْبُرُ فِي سَجَلَاتِكَ
مَتَى تَفْهَمُ؟

مَتَى تَفْهَمُ؟

أَيَا جَمَلًا مِنَ الصَّحْرَاءِ لَمْ يُلْجَمَ
وَيَا مَنْ يَأْكُلُ الْجُدْرِيَّ مِنْكَ الْوَجْهَ وَالْمِعْصَمَ

بأني لن أكون هنا... رماداً في سجاراتك
ورأساً بين آلاف الرؤوس على مخداتك
وتمثالاً تزيد عليه في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمره... تُسجلُ شكلاً بصماتك
مَنى تفهم

مَنى تفهم؟
بأنك لن تُخدرني... بجاهك أو أماراتك
ولن تملك الدنيا... بنفطك وامتيازاتك
وبالبتروول يعبق من عبااتك
وبالعريات تطرحها على قدمي عشيقاتك
بلا عدد... فأين ظهور ناقاتك
وأين الوسم فوق يديك... أين تُقوبُ خيماتك
أيا مُشقق القدمين... يا عبد انفعالاتك
ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك

تكدسهنَّ بالعشراتِ فوقَ فراشِ لدَاتِكُ
تُحْنَطُهُنَّ كالحشراتِ في جدرانِ صالاتِكُ

مَتَى يَا أَيُّهَا الْمُتَّخِمُ؟
مَتَى تَفْهَمُ؟
بِأَنِّي لَسْتُ مِنْ تَهْتَمُ
بِنَارِكُ أَوْ بِجَنَاتِكُ
وَأَنَّ كِرَامَتِي أَكْرَمُ
مِنَ الذَّهَبِ الْمَكْدَسِ بَيْنَ رَاحَاتِكُ
وَأَنَّ مَنَاحَ أَفْكَارِي غَرِيبٌ عَن مَنَاحَاتِكُ
أَيَا مَن فَرَّخَ الْإِقْطَاعُ فِي ذَرَّاتِ ذَرَّاتِكُ
وَيَا مَن تَخَجَّلُ الصَّحْرَاءُ حَتَّى مِنْ مُنَادَاتِكُ
مَتَى تَفْهَمُ

تَمَرَّعْ يَا امِيرَ النَفْطِ... فَوْقَ وُحُولِ لِدَائِكَ
كَمَمَسْحَةٍ... تَمَرَّعْ فِي ضَلَالَاتِكَ
لَكَ الْبِتْرُولُ.. فَاعْصُرْهُ عَلَى قَدَمِي خَلِيلَاتِكَ

من مفكرة...
عاشق دمشقي

فرشتُ فوق ثراك الطاهر الهدبا
فيا دمشق... لماذا نبداً العتبا؟
حبيبتي أنت... فاستلقي كأغنية
على ذراعي، ولا تستوضحي السببا
يا شام، إنَّ جراحي لا ضفاف لها
فمسّحي عن جبيني الحزن والتعبا
وأرجعيني إلى أسوار مدرستي
وأرجعي الحبر والطبشور والكتبا
تلك الزوايب كم كنزٍ طمرت بها
وكم تركت عليها ذكريات صبا

وكم رسمت على جدرانها صوراً
وكم كسرت على أدرجها لعباً
أتيت من رحم الأحران... يا وطني
أُقْبَلُ الأرض والأبواب والشهباً
حُبِّي هنا... وحيياتي ولدن هنا
فمن يعيد لي العمر الذي ذهباً
أنا قبيلة عشاقٍ بكاملها
ومن دموعي سقيت البحر والسحبا
فكل صفصافةٍ حوَّلتها امرأةً
وكل مئذنةٍ رصَّعتها ذهباً
فلا قميص من القمصان ألبسه
إلا وجدت على خيطانه عنباً
كم مبحرٍ... وهموم البر تسكنه
وهاربٍ من قضاء الحب هرباً

فلا خيولُ بني حمدان راقصةٌ
زهواً.. ولا المتنبّي مالىُّ حلباً
وقبر خالدٍ في حمصٍ نلامسه
فيرجف القبر من زواره غضباً
يا رب حيّ... رخام القبر مسكنه
ورب ميتٍ.. على أقدامه انتصباً
يا بن الوليد... ألا سيفٌ تؤجره؟
فكل أسيافنا قد أصبحت خشباً
دمشق، يا كنز أحلامي ومروحتي
أشكو العروبة أم أشكوك العريباً؟
أدمت سياط حزيران ظلهم
فأدمنوها... وباسوا كف من ضرباً
وطالعوا كتب التاريخ... واقتنعوا
متى البنادق كانت تسكن الكتب؟

سـقـوا فـلسـطـين أحـلامـاً مـلـونـةً
وأطعموها سـخـيف القـول والخطبـا
وخلّفوا القـدس فـوق الوحـل عـاريـةً
تـبـيح عـزـة نـهـديـها لـمـن رـغبـا
هـل مـن فـلسـطـين مـكـتـوبٌ يـطمئـنـني
عـمَّـن كـتـبـت إـلـيـه... وـهـو مـا كـتـبـا؟
وعـن بـسـاتـين لـيـمـونٍ، وـعـن حـلمٍ
يـزـدـاد عـنـي ابـتـعـاداً... كـلـمـا اقـتـرـبـا
أـيـا فـلسـطـين... مـن يـهـديـك زـنـبـقـةً؟
ومـن يـعـيـد لـك البـيـت الـذي خـربـا؟
شـرـدـت فـوق رـصـيف الـدمـع بـاحـثـة
عـن الحـنـان، وـلـكـن مـا وـجـدـت أبـا
تـلفـتـي... تـجـدـيـنا فـي مـبـاذـلـنـا...
مـن يـعـبـد الجـنـس، أو مـن يـعـبـد الـذـهـبـا

فواحدُ أعمت النعمى بصيرته
فراح يعطي الغواني كل ما كسبا
وواحدُ ببحار النفط مغتسلُ
قد ضاق بالخيش ثوباً فارتدى القصبا
وواحدُ نرجسي في سريرته
وواحدُ من دم الأحرار قد شربا
إن كان من ذبحوا التاريخ هم نسبي
على العصور.. فإني أرفض النسبا
يا شام... يا شام ما في جعبتي طربُ
أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي؟
حوافر الخيل داست عندنا الأدبا
وحاصرتنا... وأذتنا.. فلا قلم
قال الحقيقة إلا اغتيل أو صلبا

يا من يعاتب مذبوحاً على دمه
ونزف شريانه، ما أسهل العتبا
من جرب الكيِّ لا ينسى مواجهه
ومن رأى السُّمَّ لا يشقى كمن شربا
حبل الفجيرة ملتفٌ على عنقي
من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا؟
الشعر ليس حماماتٍ تُطيرها
نحو السَّماء... ولا نايأ... وريح صَبا
لكنه غضبٌ طالَت أظافره
ما أجبن الشعرُ إن لم يركب الغضبا

المحتوى

7	نزاريات (أيقونة الحب... والوطن) تقديم: فلك حصرية
25	إيضاح إلى قراء شعري
27	أنا يا صديقة متعبٌ بعروبتى
39	المتنبي وأم كلثوم على قائمة التطبيع
55	هذه هي حبيبتي... هذه هي مدينتي
61	أوراقٌ إسبانية
68	أحزانٌ في الأندلس
72	غرناطة
75	يوميّاتُ رجلٍ مهزوم
77	عرس الخيول الفلسطينية
82	هاملت شاعراً
85	إيضاح إلى من يههما الأمر
89	جُودُنا مختومة بختم كربلاء
96	أصبح عندي الآن بُدقيّة
99	شعراء الأرض المحتلّة

103.....	الفُدس
106.....	وشاية
108.....	من نزار قباني... إلى تلاميذ غزة
112.....	ديك الجنّ الدمشقي
115.....	هجم النفط مثل ذنب علينا
118.....	اليوميّات السريّة لفصيحة عربيّة
122.....	محاولة تشكيليّة لرسم بيروت
126.....	القصيحة الدمشقية
129.....	إفادة في محكمة الشعر
142.....	سلالات
143.....	كان الشاعر
144.....	إيضاح إلى قراء شعري
147.....	ترصيع بالذهب على سيف دمشقي
159.....	مواويل دمشقية إلى قمر بغداد
169.....	جريمة شرف أمام المحاكم العربية
178.....	مرسوم بإقالة خالد بن الوليد
186.....	اليوميّات السرية لبهية المصرية
198.....	خمسة رسائل إلى أمي
206.....	إليه في يوم ميلاده

212.....	منشورات فدائية على جدران إسرائيل
230.....	سأقول لك أحبك
235.....	أحبك أحبك والبقية تأتي
238.....	أحبك... حتى ترتفع السماء
247.....	جميلة بوحيرد
252.....	لو كنت في مدرّيد
256.....	أطفال الحجارة
258.....	نمن قصائدي
262.....	قصّة راشيل شوازنبرغ
270.....	الدخول إلى هيروشيما
273.....	دكتوراه شرف في كيمياء الحجر
282.....	أبي...
285.....	رسالة جندي في جبهة السويس
290.....	أربع رسائل ساذجة إلى بيروت
294.....	هوامش على دفتر النكسة
305.....	المهرولون
316.....	دعوة اصطياف للخامس من حزيران
321.....	حوار مع عربي أضاع فرسه
327.....	الخبّ والبترول

- 331..... من مفكرة... عاشق دمشقي
- 341..... إصدارات سلسلة
- 341..... كتاب الجيب السابقة

**إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة**

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراجلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الحرز الملون خمسة أيام في حياة تسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة - فؤاد الشايب - د. محمود أمين العالم - يدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على : (المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الخصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الخصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الخصني	2007
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محسي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	باليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى - نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العنديلبي شفيق جبيري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة - خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا - عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2009	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	30
2009	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى - غسان كنفاني	31
2009	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	عذبة رواية - صبحي فحماوي	32
2009	د. حسن حميد	د. حسن حميد	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	33
2009	د. حسن حميد	د. حسين جمعة	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة - مقالات - المتوكل طه	34
2010	محمد حمدان	د. حسين جمعة	مختارات من شعر علي الجندي	35
2010	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	الجلولان في القصة السورية (حضور المكان) - علي المزعل	36
2010	فاديا غيبور	د. حسن حميد	(الأمريكي) أحمد رفيق عوض	37
2010	فاديا غيبور	د. حسن حميد	ملكوت البسطاء - رواية خيرى الذهبي	38
2010	فاديا غيبور	د. حسن حميد	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	39
2010	فاديا غيبور	زبير سلطان قنوري	شفيق الكمالي - مختارات شعرية زبير سلطان قنوري	40
2010	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	41
2010	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	42
2010	فاديا غيبور	د. حسين جمعة	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول - يوسف نعمة الله جد	43
2010	د. إبراهيم الجرادى - عبد العزيز المقالح	د. إبراهيم الجرادى - عبد العزيز المقالح	انطسوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصيبك	44
2011	د. إبراهيم الجرادى	د. حسين جمعة	عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات	45

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأتماط الشعرية الساندة)	د. إبراهيم الجراي	د. إبراهيم الجراي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثامر زين الدين	2011
49	ماياكوفسكي غيمة في سروال	مالك صفور	د. إبراهيم الجراي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. إبراهيم الجراي	د. إبراهيم الجراي	2011
51	مجد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفتن حارس الآلام	د. إبراهيم الجراي	د. إبراهيم الجراي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. إبراهيم الجراي	2011
54	حكم النبي مجد ليف تولستوي	مالك صفور	مالك صفور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - مجد عطية الأبرشي	مالك صفور	مالك صفور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقتان	مالك صفور	مالك صفور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صفور	2012
58	بدوي الجيل (مجد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صفور	2012
59	ابن الرومي حياته من شعره ج 1 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج 2 عباس محمود العقاد	مالك صفور	مالك صفور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
61	كان ما كان - مبخاتيل نعيمة	مالك صفور	مالك صفور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صفور	مالك صفور	2012
64	الأعاصير - الشاعر القروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثامر زين الدين	2012
65	عبد اللطيف عقل لدراسات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صفور	مالك صفور	2012
67	الإصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صفور	مالك صفور	2012
68	عقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صفور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
71	طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكتابه		مالك صفور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هندي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
75	الفقه والتصوف والمسائل الشرعية في الخلافة	أ. محمد راتب الحلاق	مالك صفور	2013
76	صالح العلي ثائراً وشاعراً	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صفور	2013
79	الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صفور	2013

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
81	مديح الظل العالي	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
82	معارك فكرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
83	واقعية بلا ضفاف	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
84	كيف تعلمت الكتابة	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
85	السيف والترس	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
86	بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
87	الغريبال	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
88	الله	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
89	عصا الحكيم	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2014
90	الفارابي	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
91	الأدب الثوري عبر التاريخ	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2014
92	المسألة اليهودية	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2015
93	مذكرات مستر همفر	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2015
94	صوت أبي العلاء	مالك صفور	أ.د. حسين جمعة	2015
95	فن الأدب (جزء 1)	مالك صفور	رضوان قضمي	2015
96	فن الأدب (جزء 2)	مالك صفور	رضوان قضمي	2015
97	الإسلام بين العلم والمدنية	أ.د. حسين جمعة	مالك صفور	2015
98	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	مالك صفور	مالك صفور	2015
99	شظايا من عمري	شاهر أحمد ناصر	مالك صفور	2015

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2015	ملك صفور	أ.د. حسين جمعة	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	100
2015	ملك صفور		الدين والعلم والمال	101
2015	د. نضال الصلح	نذير جعفر	غاية الحق (أفق التنوير وجماليات السرد)	102
2015	د. نضال الصلح	نذير جعفر	في الحياة والأدب	103
2016	د. نضال الصلح	مالك صفور	إن الأدب كان مسؤولاً	104
2016	عيسى فتوح	د. نضال الصالح	أسرة المرآش الأدبية في حلب	105
2016	ملك صفور	مالك صفور	الجواهر الرجعي للصهيونية	106
2016	د. نضال الصلح	د. نزار بريك هنيدي	سريال وقصائد أخرى	107
2016	ملك صفور	إسماعيل الملحم	حضارة الطين	108
2016	ملك صفور	نذير جعفر	ضرورة الفن الجزء الأول	109
2016	ملك صفور	نذير جعفر	ضرورة الفن الجزء الثاني	110
2016	ملك صفور	فلك حصرية	قادة الفكر	111
2016	ملك صفور	حكمت إبراهيم هلال	جرانم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان	112
2016	ملك صفور	إسماعيل الملحم	خارج الحريم	113
2016	ثامر زين الدين	ثامر زين الدين	عيسى عصفور (بلاغة البازلت)	114
2017	د. نضال الصالح	د. نزار بني المرجة	رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني	115
2017	مالك صفور	د. ناديا خوست	(عملاء النفوذ) وتفكيك الاتحاد السوفييتي	116
2017	مالك صفور	حكمت إبراهيم هلال	المذابح في أرمينيا	117